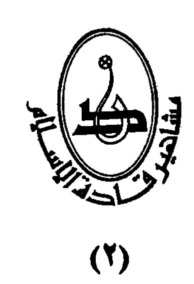

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية
موسى بن نصير
بسام العسلي
٢



(٢)

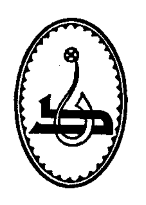
موسى بن نصير

بسّام العسليّ



الطبعة الأولى : ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
الطبعة السابعة : ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

© دار النفائس
بيروت: ص.ب ١١/٦٣٤٧ - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً: دانفايسكو



موسى بن نصير

بسم الله الرحمن الرحيم

من أقوال موسى بن نصير

« أيها الناس ، إنما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين ، مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ، ويكره أن يكلم ، ويحب أن يسلم ، أو رجل ضعيف العقيدة ، قليل المعرفة ، راضٍ بالهوينى ، وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، وسمت به همّته ، ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم . ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ، ولا عنف يقاسيه ، متوكلاً في حزمه ، جازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي في إحكام رأيه ، متحنكاً بتجاربه ، ليس بالمتجابن إقحاماً ، ولا بالمتخاذل إحجاماً ، إن ظفر لم

---

(١) خطاب موسى بن نصير عند ولايته أفريقية . (الإمامة والسياسة ، ٢/٦٢ – ٦٣) .

يزده الظفر إلا حذراً ، وإن نكب أظهر جلادة وصبراً ، راجياً من الله حسن العقابة ، فذكر بها المؤمنين ، ورجاهم إياها لقول الله تعالى : (ان العاقبة للمتقين) أي الحذرين . وبعد : فان كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى ويترك عدواً منه أدنى ، ينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة ، وايم الله ، لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتّى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ، ويفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها ، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين » .



الفصل الأول

عموميات

١ – موسى بن نصير .

٢ – الطبيعة الجغرافية للأندلس .

أ – الجغرافيا الطبيعية .

ب – الجغرافيا البشرية .

ج – الموقف عشية الفتح الإسلامي .

د – الغزوات الاستطلاعية .

٣ – موسى بن نصير في الأندلس



١ ـ موسى بن نصير [(١)]

« ما هزمت لي راية قط ، ولا فض لي جمع ، ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين إلى أن شارفت الثمانين »

(موسى بن نصير)

موسى بن نصير ، عالم وحده في التاريخ ، ونسيج فريد في الخالدين ، ما من قائد عسكري عرف سيرته إلا ورغب يقيناً في معرفة المزيد عنه ، ليجعل منه مثله الأعلى . وما من مؤمن طالع حياة هذا الإنسان إلا وطمح إلى الإقتداء به . وما من رجل بعد ذلك إلا ووجد في موسى بن نصير الصورة الرائعة لما يجب أن يكون عليه الرجال .

لم يكن خالد بن الوليد يعرف ما سيكون عليه أمر واحد من الأربعين غلاماً الذين كسر عليهم الباب المغلق فوجدهم يتعلمون

(١) ولد سنة (١٩ هـ ـ ٦٤٠ م) وتوفي سنة (٩٧ هـ ـ ٧١٥ م) .

الإنجيل فسألهم ما أنتم ؟ فقالوا رهن . وكان بينهم نصر الذي تم تصغير إسمه إلى نصير وهو والد موسى ، فسباهم خالد من عين تمر (القريبة من الأنبار غربي الكوفة) وقسمهم في أهل البلاد (في العام ١٢ هـ ، ٦٣٢ م) . وكان نصر (أو نصير) من بني لخم (أو مولى لبني لخم) فهو عربي عريق في أصالته . وعندما كبر نصير أعتقه بعض بني أمية ، فرجع إلى الشام ، وعمل في حرس معاوية بن أبي سفيان . ثم أصبح على حرس معاوية وعلى جيوشه . وكانت له منزلة كبيرة عنده . وقد أصبح نصير عميق الإيمان ، صحيح الإسلام ، حتى إنه لم يخرج مع معاوية يوم أن خرج لقتال علي بن أبي طالب . فقال له معاوية معاتباً « ما منعك من الخروج معي ولي عندك يدٌ لم تكافئني عليها ؟ . فقال : **لم يمكني أن أشكرك بكفري من هو أولى بشكري منك** . فقال : ومن هو ؟ — فقال : الله عز وجل . فأطرق معاوية ملياً ثم قال : أستغفر الله ورضي عنه » .

ولد موسى في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٩ هـ ، ٦٤٠ م) . بقرية يقال لها كفرمتري (من قرى أرض الشام — في جبل الجليل) ونشأ في وسط وثيق الصلة بأمور الحرب والجندية ، فتوطدت صلته بقادة الفتح وأعلام الفكر الإسلامي ، في دار الخلافة بالشام . وأخذ عن أبيه الجرأة والصراحة والورع . فظهرت عليه علائم الطموح ، ومؤهلات القيادة منذ نعومة أظفاره . وكانت نشأته مع أبناء الخلفاء الأمويين كمروان بن عبد الملك وبشر بن مروان ، من العوامل

التي مهدت له طريق المستقبل .

عرف معاوية بن أبي سفيان – وهو الخبير بمعرفة الرجال – ما يتوافر في موسى بن نصير من كفاءات قيادية ، فولاه البحر وهو في مقتبل العمر ، فغزا موسى قبرص (والعرب يكتبونها قبرس وهو الصحيح) وبنى هناك حصوناً ، وأعد الجزيرة لتكون قاعدة بحرية متقدمة لمجابهة نفوذ البيزنطيين في البحر . وكانت هذه أول تجاربه في فن الحرب .

كانت بلاد الشام مسرحاً للاضطراب ، رغم استقرار الأمر للأمويين بفضل معاوية ، وفي عام (٦٤ هـ ، ٦٨٣ م) . وقعت معركة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري الذي كان يدعو سراً إلى عبد الله بن الزبير . وانحاز موسى إلى الضحاك وقاتل معه . ولم يلبث الأمويون حتى انتصروا على الضحاك ، فخاف موسى ، ولجأ إلى عبد العزيز بن مروان الذي حماه من بطش أبيه مروان بن الحكم . وبدأت الصلة الوثيقة بين عبد العزيز بن مروان وبين موسى بن نصير . وفي العام التالي ، توجه مروان بن الحكم إلى مصر فتملكها ، واستعمل عليها ابنه عبد العزيز ، وجعل له موسى بن نصير وزيراً ومشيراً . وكان موسى مع مروان بن الحكم حين دخوله مصر ، مما يشير إلى أنه استطاع خلال هذه الفترة الحصول على ثقته . وعندما ولّى عبد الملك بن مروان أخاه بشراً الكوفة (سنة ٧٣ هـ) ثم جمع له ولاية البصرة بعد ذلك بسنتين ، عين له موسى بن نصير مشيراً ووزيراً – نظراً لأن بشراً كان حديث

السن ، قليل الخبرة في إدارة الدولة ، وأصبح موسى هو المسؤول أمام عبد الملك بن مروان عن كل خلل أو تقصير يقع في ديوان العراق ، فدفع بشر إلى موسى خاتمه ، وتخلى له عن جميع العمل . ولكن بشراً لم يعمر طويلاً فقد توفي في عام (٧٥ هـ ، ٦٩٤ م) . فولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق وأوصاه ألا يفوته موسى لأنه احتجز الأموال لنفسه حين كان على خراج البصرة .

وخاف موسى الحجاج (وعرف خطورة الدسائس التي كانت تحاك ضده ، وتتهمه بما لم يفعل) فلجأ إلى عبد العزيز بن مروان صاحب مصر ، فتوجه عبد العزيز مع موسى إلى الشام ووفدا على عبد الملك ، فأغرمه عبد الملك مائة ألف دينار ، فغرم عنه عبد العزيز نصفها ، وعاد موسى مع عبد العزيز إلى مصر .

بقي موسى بن نصير عشرة أعوام ونيف وهو في مصر قبل أن تتوافر له فرصة ممارسة قيادة كبرى . وكانت أفريقيا طوال هذه الفترة تضطرم ناراً ، وتصاب بالنكسة بعد النكسة . فتم تعيين موسى بن نصير لولايتها في بداية عام (٨٦ هـ ، ٧٠٥ م). وأمسك موسى بهذه الفرصة وصمم على أن ينجز ما عجز أسلافه عن إنجازه . فتوجه إلى المغرب ، وأعاد تنظيم قوات المسلمين وحشدها . وعندما توافت إليه الجيوش ، وقف فيها خطيباً . وكان مما قاله : « **إنما أنا رجل كأحدكم . فمن رأى مني حسنة فليحمد الله ، وليحض على مثلها ، ومن رأى مني**

سيئة فلينكرها فإني أخطىء كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون ، وقد أمر الأمير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً ، فخذوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفعها إلينا ، وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان ، مع المواساة إن شاء الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله »[1] .

عندما وصل موسى إلى إفريقية ، وجد أن البربر قد طمعوا في البلاد فجمع الناس ، وألقى فيهم خطاباً أبرز فيه الأسس الاستراتيجية والقواعد العملياتية التي سيعمل على تطبيقها (نص الخطاب في الصفحة الخامسة) . وتنفيذاً لذلك بـــدأ باستعادة جبل زغوان (وهو جبل منيع ، شاهق الارتفاع ، يشرف على تونس بينه وبين القيروان مسيرة يوم كامل) . فأرسل موسى قوة من خمسمائة فارس لإخضاع المتمردين ، واستعاد جبل زغوان ، كما وجه ابنه عبد الله بن موسى إلى بعض نواحي إفريقية ، ووجه ابنه مروان أيضاً . حتى تم له إخضاع المتمردين والقضاء على الثائرين . وكانت الغنائم الكثيرة التي حصل عليها برهاناً على قدرته في تصفية جيوب المقاومة ، والقضاء على معاقل الثورات المضادة . واستطاع بذلك أن يجعل قاعدة القيروان وما حولها قاعدة متقدمة مأمونة ، يمكن له الانطلاق منها للتوغل في المغربين الأوسط والأقصى (الجزائر والمغرب) .

كانت قبائل هوارة وزناتة من قبائل البربر المتمردة ،

---

(١) الإمامة والسياسة ٢/٦١ — ٦٢ .

فأرسل موسى ألف فارس بقيادة عياش بن أخيل فأغاروا وقتلوا منهم وسبوا ، فعرضوا الصلح ، فصالحهم المسلمون .

وكانت كتامة (وهي قبيلة من البربر أيضاً) قد قدمت على موسى فصالحته ، فولى عليهم رجلاً منهم وأخذ منهم الرهائن . وحاول هؤلاء الفرار للعودة إلى قبائلهم ، فوجه الفرسان إليهم وأتي بهم ، وأراد صلبهم ، فقالوا « لا تعجل أيها الأمير بقتلنا حتى يتبين أمرنا ، فان آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبداً ونحن في يدك ، وأنت على البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل » فأوقرهم حديداً ، وأخرجهم معه إلى كتامة ، وخرج هو بنفسه ، فلما بلغ كتامة خروج موسى تلقاه وجوههم معتذرين ، فقبل منهم ، وتبينت له براءتهم . واستحيا رهونهم (وقد كانت كتامة بوادي درعة — في المغرب — بينها وبين سجلماسه أربعة فراسخ) .

وكانت قبائل صنهاجه من قبائل البربر القوية والمتميزة بالعناد وشدة المراس ، وكانت تقيم في وادي ملويه في المغرب الأوسط (الجزائر) . فأرسل موسى العيون (الجواسيس) لاستطلاع أخبارها ..وأفاد العيون بأن ابل صنهاجه تنتجع ، وأن صنهاجه لا تستطيع براحاً عن وادي ملوية ، فقرر مباغتتهم . ونظم قوة مكونة من ٤ آلاف مقاتل من الجند النظاميين (أهل الديوان) بالإضافة إلى ألفين من المتطوعين ، ومن قبائل البربر ، ووضع على المقدمة عياض بن عقبة بن نافع وعلى ميمنته المغيرة بن أبي بردة ، وعلى ميسرته زرعة بن أبي

مدرك ، وسار موسى حتى غشي صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر ، وهم في غفلة لا يشعرون ، فقتلهم قتل الفناء ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، ثم انصرف قافلاً إلى القيروان .

أصبح باستطاعة موسى بن نصير الانطلاق إلى أهداف أكبر ، فأخذ في الإعداد لغزو سجلماسة ، وكان اسم هذه المدينة يرتبط بمأساة تهوذه ومقتل عقبة بن نافع مع عدد من خيرة الصحابة . فنظم قوة من ١٠ آلاف مقاتل ، ووضع على مقدمته عياض بن عقبة بن نافع وعلى ميمنته زرعة بن أبي مدرك ، وعلى ميسرته المغيرة بن بردة القرشي وعلى ساقته نجدة ابن مقسم ، وأعطى اللواء ابنه مروان بن موسى ، وتوجه نحو المغرب الأوسط ، حتى وصل موقعاً يقال له سجن الملوك . وخلف الأثقال مع حامية من ألف مقاتل بقيادة عمرو بن أوس ، وتجرد في الخيول ، حتى انتهى إلى نهر ملوية ، فوجده في حالة فيضان ، فكره طول المقام عليه خوفاً من نفاذ الزاد ، وأن يبلغ العدو مخرجه ومكانه . لذلك أحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع التي كره أن يجوز عليها (يعبر منها) . فلما عبرها وانتهى إليهم ، وجدهم قد أنذروا وتأهبوا وأعدوا للحرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في جبل شديد لا يصل إليهم إلا من أبواب معلومة . وبعد قتال استمر ثلاثة أيام ، انهزم أهل سجومه ، ففتح المدينة ، وقتل ملوكها ، وأمر أولاد عقبة بن نافع (عياضاً وعثمان وأبا عبيدة) أن يأخذوا حقهم من قاتل أبيهم . فقتلوا من أهل سجومة ستمائة رجل من كبارهم ، ثم قال لهم موسى

« كفوا » فكفوا . وقال عياض بن عقبة « أما والله لو تركني ما أمسكت عنهم ، وفيهم عين تطرف » .

خضعت لموسى بذلك قبائل البربر ، هذه التي أعلنت تمردها بعد أن عاهدت المسلمين ، وتلك التي لم تكن قد خضعت بعدُ للمسلمين . فقاد موسى الجيش نحو المغرب الأوسط ، وولاية طنجة ، فتبددت القبائل أمامه نحو الغرب خوفاً من العرب . فتتبعها عبر السوس الأدنى ، حتى بلاد سجلماسة (في جنوب المغرب بينها وبين فاس عشرة أيام) ووادي درعة .

عمل موسى بعدها على توجيه مجموعات قتالية إلى أنحاء مختلفة ، فوجه ابنه مروان على رأس قوة من ٥ آلاف مقاتل إلى السوس الأقصى (أقصى بلاد البربر على المحيط الأطلسي) كما سير قائده ذُرعة بن أبي مدرك إلى بربر وصمودة (من قبائل البرانس) في أطلس العليا . وحققت القوتان أهدافهما فعاد مروان بسبي كثير ، أما زرعة فلم يلق حرباً من المصامدة الذين أعلنوا خضوعهم ، وقدموا إليه رهائنهم ، كما قدم غيرهم الرهائن . وكانت هذه هي المرة الثانية التي تطأ فيها خيل العرب المسلمين أرض ومصمودة بعد دخول عقبة بن نافع لأول مرة . وتأكد انتشار الإسلام في بلاد المصامدة الذين دخلوا فيه طوعاً .

لم يبق أمام موسى بعد أن تم له إخضاع كل تمرد في المغربين الأوسط والأقصى سوى طنجة ، وكانت هذه المنطقة

تخضع ليوليان (جوليان) التابع أصلاً للبيزنطيين والذي ارتبط بالأندلس بعد تقلص ظل البيزنطيين وزوال هيمنتهم عن البحر الأبيض المتوسط . فسار موسى من القيروان لفتح طنجة ، ودفع أمامه مقدمة بقيادة مولاه طارق بن زياد . فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة . وبث السرايا ، فانتهت خيله إلى السوس الأدنى ، فوطئهم وسباهم ، وأدوا إليه الطاعة ، فولى عليهم والياً أحسن حكمهم .

وحاصر موسى طنجة حتى تم له فتحها ، وهو أول من نزلها ، واختط فيها للمسلمين فأسلم أهلها ، وخطها موسى قيرواناً للمسلمين . وسار إلى مدائن على شط البحر فيها ولاة لصاحب الأندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ، ورأس تلك المدائن سبتة (المقابلة لجزيرة الأندلس على طرف الزقاق ، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب) وعليها جوليان ، فقاتله موسى ، فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يقدر عليه ، فرجع إلى مدينة طنجة ، وأقام هناك بمن معه . وأخذ في الغارات من حولهم والتضييق عليهم . والسفن تأتي إليهم بالمؤونة والإمداد من الأندلس من قبل ملكهم غيطشة ، فهم يدافعون عن سبتة دفاعاً شديداً ، ويحمون بلادهم حماية تامة . وكانت سبتة مدينة حصينة قريبة من الأندلس مما ساعد على صمودها في وجه العرب المسلمين . وبقي في طنجة من البربر بطون قبائل (البتر والبرانس) ممن لم يكن قد دخل في الطاعة ، فوضع موسى على ساحل طنجة حامية للرباط مؤلفة من ألف وسبعمائة رجل

عليهم ابنه مروان . ولكن مروان انصرف وخلف على جيشه طارق بن زياد ، وتم بذلك فتح المغرب الأقصى إلا اقليم سبتة .

عاد موسى إلى القيروان ، بعد أن استعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد ، وترك عنده تسعة عشر ألفاً من البربر بالأسلحة والعدة الكاملة . وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم ، وترك موسى عندهم عدداً يسيراً من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الإسلام .

كانت « مجانة » قلعة تحصن أهلها من موسى حين عودته إلى القيروان (وهي تقع على مسيرة خمسة أيام من القيروان) . فوجه إليها مجموعة قتالية لاستعادة فتحها ، (إذ كان بسر بن أبي أرطأة قد فتحها من قبل) . ومع استعادة فتح هذه المدينة الحصينة ، تحقق الاستقرار في المغرب ، وأصبح بامكان موسى الانصراف لبناء المجتمع الجديد وإرساء قواعد الإسلام . فأقبل أهل المغرب وأسلموا على يديه ، فكان يأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن ، وأن يفقهوهم في الدين . وهكذا لم يبق في افريقية من ينازعه . غير منطقة سبتة .

عرف موسى بن نصير أهمية البحر منذ تولى غزوة قبرس ، وقدر الأهمية السياسية والاستراتيجية للسيطرة البحرية نتيجة لما كان يعانيه المسلمون في فتوحاتهم على أرض أفريقية من تدخل البيزنطيين وتهديدهم المستمر للقوات الأرضية ، وكان استشهاد عقبة بن نافع ، ثم زهير بن قيس البلوي من بعده شواهد ثابتة

على ضرورة حماية قوات المسلمين في البر بقوات بحرية ، فأخذ في الاعداد للجهاد في البحر بالاهتمام بعمران مدينة تؤنس ، وتوسيع دار صناعة السفن بها ، وشق القناة التي تصل بين المدينة وبين ميناء رادس على طول اثني عشر ميلاً حتى أقحمه دار الصناعة فصارت مشتى للمراكب إذا ساءت الأنواء وهبت الرياح ، ثم أمر بصناعة مائة مركب . وعندما أنهى استعداداته البحرية ، أمر بالتأهب لركوب البحر ، وأعلم الناس أنه راكب بنفسه ، فرغب رجاله بذلك وتسارعوا حتى لم يبق شريف ممن كان معه إلاّ وقد ركب البحر ، فعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله بن موسى وأمره بالتوجه للغزو . وقد أراد موسى بما أشاع عن مسيره ، أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف ، فسميت هذه الغزوة « **غزوة الأشراف** » وسار عبد الله بن موسى في مراكبه ، وكانت تلك الغزوة أول غزوة غزيت في بحر افريقية (غربي البحر الأبيض المتوسط) فأصاب في غزوته تلك جزيرة صقلية ، وافتتح مدينة فيها ، فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً . وكان المسلمون ما بين التسعمائة إلى الألف ، ثم انصرف قافلاً سالماً ، وكان ذلك في سنة (٨٥ هـ ، ٧٠٤ م) .

كان أمير مصر عبد العزيز بن مروان قد بعث عطاء بن أبي نافع الهذلي في مراكب أهل مصر إلى سردانية ، فأرسى بسوسة ، فأخرج إليه موسى ما يحتاجه من أرزاق وسلاح وكتب إليه « إن ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام ،

فأقم لا تغرر بنفسك فإنك في تشرين الآخر (نوفمبر) . فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر » فلم يكترث عطاء بنصيحة موسى ، وشحن مراكبه ، ثم دفع متوجهاً إلى هدفه ، وفي سردانية غنم المسلمون غنائم ضخمة ، وأثناء عودتهم أصابتهم ريح عاصف ، فغرق عطاء وأصحابه .

عقد موسى لعبد الله بن مرة على بحر إفريقية (سنة ٨٩ هـ ، ٧٠٧ م) ونزل سردانية وافتتح مدائنها ، فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والمواد الأخرى . وفي هذه السنة ذاتها جهز موسى ولده عبد الله فافتتح جزيرتي (ميورقة ومنورقة) [١] وهما جزيرتان في البحر بين صقليا وجزيرة الأندلس .

لم تكن منجزات موسى بن نصير الرائعة حتى هذه المرحلة سوى مقدمات الفتح العظيم الذي سيرتبط أبداً باسم القائد موسى بن نصير ، فقد أصبحت جميع الظروف مهيأة للانطلاق نحو آفاق جديدة . وكانت التجارب البحرية والهيمنة العربية على غربي المتوسط من المراحل التمهيدية نحو هذه الآفاق المتمثلة (بفتح الأندلس) .

---

(١) منورقة MINORCA . ميورقة MAJORCA وهي تشكل مع يابسة IVIZA مجموعة جزر الباليئار BALEARIC-ISLANDS وهي تابعة حاليـــاً لاسبانيـــا .

٢ ـ الطبيعة الجغرافية للاندلس

آ ـ الجغرافيا الطبيعية :

تشكل شبه الجزيرة الإيبيرية النهاية الجنوبية الغربية لأوروبا ، وتعتبر سلسلة جبال البيرينه (أو جبال البرتات كما تذكرها المصادر العربية) الفاصل بين أوربا والجزيرة الايبيرية . وتتميز طبيعة شبه الجزيرة بالاختلاف الكبير في تضاريسها الجغرافية ، والتفاوت الكبير في المرتفعات والمنخفضات ، فبينما ترتفع قمم جبال الثلج (سيرانيفادا) في الجنوب حتى ٣٤٧٠ م عن سطح البحر . تنخفض في سهول القلاع (قشتالة) حتى ٥٠٠ م لترتفع من جديد في البيرينه حتى حدود ٣٦٦٠ م تقريباً وتنحدر الجبال بشكل حاد ، مشكلة في بعض الأحيان السهول الخصبة ، أما الأنهار فهي جميعها غير صالحة للملاحة تقريباً .

أفاض كتاب العرب ومؤرخوهم في وصف طبيعة الأندلس، فكان من أقوالهم فيها :

« الأندلس شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة ، وحاملي الفلسفة » .

تبلغ مساحة شبه الجزيرة الايبيرية ٥٩٦,٨٧٩ كم² (اسبانيا ٥٠٤,٨٧٩ كم² والبرتغال ٩٢ ألف كيلو متر مربع) ويفصل شبه الجزيرة عن المغرب مضيق ، أصبح يعرف منذ الفتح الإسلامي بمضيق جبل طارق (ويسميه كتاب العرب والمؤرخون بدرب الزقاق) وهو بعرض ١٢,٨ كيلومتر . (بين سبتة وجبل طارق) .

وعلى الرغم من اتصال شبه الجزيرة الايبيرية بأوربا ، فإن سلسلة جبال البيرينه كانت تشكل فاصلاً حقيقياً . فهذه السلسلة تمتد من البحر الأبيض المتوسط حتى المحيط الأطلسي على امتداد ٤٢٢ كيلومتراً وبعرض ١٤٠ كيلومتراً ،[١] وتتميز هذه السلسلة بصعوبة اختراقها ، وبينما تغطي الغابات القسم الغربي من البيرينه (في جهة الباسك) فان القسم الشرقي يكاد يكون منطقة جرداء ، خالية من النبات . ونظراً لصعوبة الاتصال ، فقد عاش سكان الأودية في حالة من العزلة بعضهم

عن بعض . فليس من الغريب أن تكون هناك أكثر من لهجة (مثل سكان الباسك) .

يتميز وسط شبه الجزيرة بوجود هضبة مرتفعة جرداء ، وهي منطقة جرداء (تعرف باسم هضبة الميزيتا) وتهب عليها في الشتاء ريح شمالية قارسة البرد اسمها ريح الشمال . أما في الصيف فتهب عليها ريح جنوبية دافئة من افريقيا اسمها ريح السولانو . تحمل الحر الشديد وتتربع العاصمة مدريد ، وطليطلة فوق هذه الهضبة (على ارتفاع ٦٦٦ م) .

ب ــ الجغرافيا البشرية :

هناك ثمة اختلاف كبير على أصل تسمية الأشبان . أو الاسبان ، وتذكر المصادر الغربية أن أصل التسمية هو فينيقي ، ومعناها الحرفي .أرض الأرانب وان سبب هــذه التسمية يتلخص في أن الفينيقيين عندما وصلوا للمرة الأولى إلى شبه الجزيرة بقصد التجارة ، اكتشفوا أن البلاد تجتاحها أسراب من الأرانب ولا شيء غير ذلك .

وتذكر بعض المصادر العربية أن تسمية الاشبان تعود إلى القبائل الرومانية التي استوطنت في العصور الأولى من التاريخ وكان ملكهم يحمل اسم اشبان Sphan بن طيطش ، وعلى كل حال ، فقد ترك السكان الاشبان الأوائل رسوماً رائعة ولوحات مشرقة على جدران الكهوف ، ولعل من الأرجح أن

جاء الايبيريون من شمال أفريقيا إلى بلاد الاشبان في عـــام ٢٥٠٠ ق . م تقريباً واستقروا فيها ومنحوا شبه الجزيرة اسمهم . فأصبحت تعرف باسم شبه الجزيرة الايبيرية . وبقي تاريخ اسبانيا على مدى الألفي عام التي توالت بعد ذلك ، مجهولاً ، ولم يعرف عنه سوى القليل . وإن كان من الثابت استيطان الفينيقيين والاغريق في بلاد الايبيريين Iberians (الأفارقة) واقامتهم للمراكز التجارية فيها .

وقعت في القرن السادس قبل الميلاد غزوتان إحداهما من شمال شبه الجزيرة وأخرى من جنوبها ، فقد جاء السلتيون عبر جبال البيرنه ، وتزاوجوا مع الايبيريين واستقروا في البلاد ، كما جاء القرطاجيون (وهم فرع من العرب الفينيقيين) من شمال أفريقيا ، وأقاموا في الجنوب الشرقي من اسبانيا حتى القرن الثالث ق . م . وانطلقوا من هناك في توغلهم عبر الطريق الساحلي الشرقي ، حتى هاجموا إيطاليا من شمالها في عهد الملك هملقار ثم ابنيه من بعده هانيبال وهاسدروبال . وفي ذلك العهد كانت قرطاجة مشتبكة في صراع طويل ومرير مع روما ، انتهى بهزيمة قرطاجنة وتدميرها . فما لبثت اسبانيا أن غدت مفتوحة أمام الرومان . وبدأت روما منذ نهاية حرب قرطاجنة الثانية في عام ٢٠١ ق . م . في أخذ زمام السيطرة على البلاد . عن طريق القتال أول الأمر ، ثم ببناء المدن الجديدة وتحسين الزراعة وادخال نظم العدالة الرومانية وحضارتها .

كان عهد الحكم الروماني في الأندلس عهد سلم ورخاء استمر أكثر من ٤٠٠ عام ، ولكن الامبراطورية الرومانية ذاتها تعرضت في القرن الخامس الميلادي لهجمات البرابرة ، وهم شعوب مختلفة جاءت من الشرق واستقرت في أوربا ، ومنهم الفاندال Vandals والآلان Alans والسويف Sueve . وقد وصل هؤلاء البرابرة على موجات متعاقبة منذ العام ٤٠٩ م . وأخذوا في نهب البلاد وتدمير حضارتها . وكان القوط الغربيون (الفيسقوطيون) Visigoths هم آخر الشعوب البربرية التي غزت الأندلس ، وأقامت فيها ، وحكمتها على امتداد أكثر من ثلاثمائة سنة .

كان الفيسقوط (أو الفيزيقوط) مقاتلون أشداء ، وقد اكتسبوا الحضارة من الرومان ، ووطدوا دعائم ملكهم بحيث كان عدد الملوك المتعاقبين من الفيزيقوط على عرش الأندلس ٣٦ ملكاً ، قبل دخول المسلمين إلى شبه الجزيرة . وكانت عاصمتهم مدينة طليطلة .

ج ـ الموقف عشية الفتح الإسلامي :

كان موسى بن نصير يتطلع ببصره إلى ما وراء درب الزقاق ، ويطمح بتفكيره إلى نشر الإسلام في شبه الجزيرة ، وكان مولاه طارق بن زياد على مستوى قائده في تطلعاته وآماله ، ولكن كانت هناك عقبة مزدوجة تنتظر من الزمن

حلها ، الأولى تصفية قاعدة سبتة والثانية جمع المعلومات اللازمة عن مسرح العمليات في الأندلس .

كان يوليان (أو جوليان) حاكم سبتة ، يتابع ما يدور حوله ، وشعر بقبضة العرب المسلمين تتزايد إحكاماً من حوله ، وأدرك يقيناً النهاية الحتمية لوجود قاعدته طنجة بعد أن أصبحت حدودها ضيقة لا تتجاوز أسوار مدينة سبتة ، وابتعدت عنه بيزنطة ، ولم تعد أساطيلها قادرة على دعمه. وبقي مجاله محدداً بعلاقته مع ملك اسبانيا المعروف في التاريخ باسم (غيطشه) Witiza .

كان يوليان قد أقام طويلاً في المغرب . فقد تولى الحكم (في ولايتها السابعة) منذ سن مبكر وتوثقت علاقته بمن جاوره من قبائل البربر ، واكتسب ثقتهم حتى أصبح يعد نفسه واحداً منهم ، وحتى اختلط الأمر على الناس فظنوه بربرياً (ومن هنا ظهرت الرواية التي تنسبه إلى بربر غمارة) .

توفي ملك اسبانيا إخيكا Egica في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ٧٠٠ م ، وتولى عرش البلاد من بعده ابنه غيطشه ، لكن قائد الجيش رودريك (أولذريق) Rodrigo قاد ثورة خلع فيها غيطشه عن العرش ، وأثار ذلك نقمة أبناء غيطشه وأنصاره ، فاندلعت الثورات ضد المغتصب ، وبصورة خاصة في منطقة الباسك (شمالي الأندلس) . وفر وقلة Achıla ابن غيطشه ، الذي تولى العرش بعد أبيه إلى أفريقية ، وأقام عند

يوليان حاكم سبتة ، الذي بقي على ولائه للملك غيطشه وأبنائه . فعمل رودريك على استبقاء ولدي غيطشه الآخرين (أرطباس وألمند) Artavasdes and Olmondo كرهائن في قبضته . يستخدمهما للقضاء على الثورات المضادة لحكمه .

تدهور الموقف الداخلي في الأندلس نتيجة لاندلاع الثورات واضطرار رودريك لفرض ضرائب فادحة أرهق بها شعبه . كما اضطر الى سلب الكنائس والاستيلاء على ممتلكاتها وبصورة خاصة ما كان محفوظاً منها في كنيستي (سان بدرو وسان بابلو) في طليطلة ، وقد حفظت روايات التاريخ الغربي قصة هذه الأعمال العدوانية المعروفة باسم (أسطورة بيت الحكمة) [1] .

---

(١) تتلخص هذه الأسطورة بما يلي : « كانت طليطلة دار الملك بالأندلس . وكان بها بيت مغلق متحامي الفتح على الأيام ، عليه عدة من الأقفال ، يلزمه قوم من ثقات القوط ، قد وكلوا به لئلا يفتح ، وقد عهد الأول في ذلك إلى الآخر . فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه على ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدمه . فلما قعد رودريك هذا ، أتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب ، فقال لهم : لا أفعل أو أعلم ما فيه ، ولا بد لي من فتحه . فقالوا له : أيها الملك ، إنه لم يفعل هذا أحد ممن قبلك ، وتناهوا عن فتحه ، فلم يلتفت إليهم ، ومشى إلى البيت . فأعظمت ذلك العجم ، وضرع إليه أكابرهم في الكف فلم يفعل ، وظن أنه بيت مال ، ففض الأقفال عنه ودخل ، فأصابه فارغاً لا شيء فيه إلا تابوت عليه قفل . فأمر بفتحه يحسب أن مضمونه يقنعه نفاسة ، فألفاه فارغاً لا شيء فيه إلا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب =

تجمعت عوامل الحقد في نفس يوليان ضد رودريك . فولاءه للحكام الشرعيين (غيطشه وأبنائه) وسوء ادارة رودريك للأندلس ، كل ذلك مع تقدير يوليان الصحيح لموقف العرب المسلمين ومعرفته لحتمية انتصارهم ، علاوة على احتمال ظهور عوامل أخرى [1] حملت جميعها على دفع يوليان للتقرب من

= متقلدي السيوف ، متنكبي القسي ، رافعي الرايات على الرماح ، وفي أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية . فقرئت فاذا فيها : إذا كسرت الأقفال عن هذا البيت ، وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور ، فان هذه الأمة المصورة في هذه الشقة تدخل الأندلس فتغلب عليها وتملكها ، فوجم رودريك وندم على ما فعل » (نفح الطيب ٢٥١/١ ، البيان المغرب ٤/٢ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ٣٢ - ٣٣) .

(١) تذكر المصادر العربية أن سبب اتصال يوليان بموسى هو التالي : « كان من سير أكابر العجم بالأندلس وقوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم إلى بلاد الملك الأكبر بطليطلة ، ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بأدبه ، وينالوا من كرامته ، حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم بعضاً استئلافاً لآبائهم ، وحمل صدقاتهم ، وتولى تجهيز إناثهم إلى أزواجهن . فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة . وكانت يومئذ في يد صاحب الأندلس وأهلها على النصرانية ، ركب الطريق بابنة له بارعة الجمال ، تكرم عليه ، فلما صارت عند لذريق ، وقعت عينه عليها ، فأعجبته وأحبها حباً شديداً . ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضها ، فاحتالت حتى أعلمت أباها بذلك سراً بمكاتبة خفية . فأحفظه شأنها جداً . واشتدت حميته . وقال : ودين المسيح لأزيلن سلطانه ، ولأحفرن تحت قدميه . ثم إن يليان ركب بحر الزقاق من سبتة في أصعب الأوقات في ينير (كانون الثاني - يناير) قلب الشتاء ، فصار بالأندلس ، وأقبل إلى طليطلة نحو الملك رودريك . فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك =

موسى بن نصير . وتوطيد الصلات مع قادة المستقبل . فأرسل يوليان إلى موسى يعرض تسليم سبتة ، ويدعوه إلى فتح اسبانيا ، فاستجاب موسى لدعوة يوليان . واهتم بمشروعه اهتماماً كبيراً .

د ـ الغزوات الاستطلاعية :

مضى يوليان في وصفه لمحاسن الأندلس واستثارة موسى لغزوها ، وذكر ما تتضمنه من أسباب المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها ، وهون عليه مع ذلك حال رجالها . لكن موسى رغم تشوقه للغزو فانه أخذ بالحزم فيما دعاه اليه يوليان . فطلب اليه قيادة غزوة

= الوقت . وسأله عما لديه ، ولم جاء في مثل وقته ؟ فذكر خيراً ، واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها إلى رؤية بنتها التي عنده ، وتمنيها لقاءها قبل الموت ، وإلحاحها عليه في إحضارها ، وأنه أحب إسعافها ، ورجا بلوغها أمنيتها منه . وسأل الملك إخراجها إليه . وتعجيل إطلاقه للمبادرة بها ، ففعل . وأجاز الجارية ، وتوثق منها بالكتمان عليه ، وأفضل على أبيها فانقلب عنه . وذكروا أنه لما ودعه قال له رودريك : إذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات(الصقور) التي لم تزل تطرفنا بها فانها آثر جوارحنا لدينا . فقال له : أيها الملك ، وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلما قط – عرض له بالذي أضمره من السعي في إدخال رجال العرب وهو لا يفطن – فلم يثنهنه عندما استقر بسبتة عمله أن تهيأ نحو موسى » (نفح الطيب ١/٢٥٢ ، فتوح مصر والمغرب ٢٧٧ . ابن خلدون ٤/١١٧) .

استطلاعية يشترك فيها المسلمون . وكلفه « بمكاشفة أهل ملته من الأندلس المشركين . والاستخراج اليهم وشن الغارة فيها » ففعل يوليان ذلك ، وجمع جمعاً من أهل عمله ، ودخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء (في الأندلس) فأغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياماً ثم رجع بمن معه سالمين . وشاع الخبر عند المسلمين . فأنسوا بيوليان ، واطمأنوا اليه ، وكان ذلك عقب سنة تسعين للهجرة (٧٠٨ م) .

لم يكن موسى بن نصير ليقطع في أمر عظيم كغزو الأندلس دون الرجوع للخليفة في دمشق . فكتب إلى الوليد ابن عبد الملك يخبره بالذي دعاه إليه يوليان من أمر الأندلس ويستأذنه في اقتحامها . فكتب إليه الوليد : « **أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال** » فراجعه أنه ليس ببحر زخار ، وإنما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه . فكتب اليه : « وإن كان، فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه » .

نظم موسى اغارة استطلاعية جديدة ، أسند قيادتها إلى رجل من مواليه من البرابرة اسمه «طريف» يكنى أبا زرعة في أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم في أربعة مراكب ، فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الأندلس المعروفة بالخضراء ويقال لها اليوم (جزيرة طريف) [1] لنزوله بها . وأقام بها أياماً حتى

(١) جزيرة طريف، هي المعروفة حالياً باسم لاس بالوماس ISLANDE =

تتام (التأم) اليه أصحابه ، ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبياً لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسناً ، ومالاً جسيماً وأمتعة . وذلك في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ، فلما رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الدخول . وقيل دخل طريف في ألف رجل ، فأصاب غنائم وسبياً . ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة، وليس بطريف، في ألف رجل منهم أيضاً، فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنهم فضرموا عامتها بالنار ، وحرقوا كنيسة كانت عندهم معظمة ، وأصابوا سبياً يسيراً وقتلوا وانصرفوا سالمين [1] .

- LAS PALOMAS وهي قريبة من مدينة طريف TARIFA التي سميت باسمه لنزوله فيها. أما الجزيرة الخضراء فقد جاء وصفها في تقويم البلدان (١٧٣–١٧٤)بأنها مدينة أمام سبتة من بر الأندلس الجنوبي، وهي مدينة طيبةالنزهة، توسطت مدن الساحل، وأشرفت بسورها علىالبحر، ومرساها أحسن المراسي للجواز (للعبور) وأرضها أرض زرع وضرع . وبخارجها المياه الجارية والبساتين النضيرة . وتحمل الجزيرة الخضراء حالياً اسم الجزيرة : ALGECIRAS

(١) يظهر هذا النص ، أن موسى قد نظم الاستطلاع على شكل غزوتين متواقتتين في منطقتين مختلفتين ، أو غزوتين علىالتتابع بقيادة طريف ، وأبو زرعة ، وهناك مصادر تجعلهما غزوة واحدة ، وأن أبو زرعة وطريفاً هما شخص واحد كما ذكر الرازي (هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافري – الاسم طبق الكنية) . والاحتمال الأرجح هو ارسال أكثر من غزوة استطلاعية ، وأن أبو زرعة ، وطريفاً هما قائدان لغزوتين منفصلتين . (نفح الطيب ٢٥٤/١ والبيان المغرب ٦/٢) .

توافرت المعلومات الكاملة عن الموقف ، ونضجت خطة العمليات في ذهن القائد موسى بن نصير ، فأخذ في الاعداد للحملة الكبرى ، وحشد القوي الضرورية . وجهز جيشاً من العرب والبربر يبلغ ٧ آلاف مقاتل ، واستدعى مولاه طارق ابن زياد الليثي ، وكلفه بقيادة الحملة ، والعبور إلى الأندلس . وفي رجب سنة ٩٢ ه (نيسان – ابريل – ٧١١ م) وصل طارق إلى البقعة الصخرية التي لا زالت تحمل اسمه . وتعرف باسم جبل طارق .

ه – حملة طارق بن زياد :

بدأ طارق بتنظيم قاعدة عملياته في الجنوب ، ففتح مدينة قرطاجنة [1] ثم زحف غرباً واستولى على المنطقة المحيطة بقرطاجنة . وأقام قاعدة بحرية في موضع يقابل الجزيرة الخضراء . ووصلت المعلومات الى رودريك الذي كان يخوض معاركه ضد ثوار (الباسك) في الشمال فتخلى عن عملياته في الشمال وعاد إلى طليطلة ، وأخذ في حشد القوى والوسائط . وتوافرت المعلومات عند طارق ، فأخذ في الاستعداد للمعركة

---

(١) قرطاجنه (كارتاجينا) CARTAGENA ، تشرف على خليج عميق، تحرسها قلعة ، أسسها هاسدروبال شقيق هانيبال في القرن الثالث ق. م . وكانت دائماً قاعدة بحرية حربية هامة . أقام بها العرب المسلمون قاعدة لصناعة السفن ولا زالت كذلك .

الحاسمة . وكتب إلى موسى بن نصير يستمده بقوله (لقد زحف رودريك بما لا قبل له به) وكان موسى منذ وجه طارق لوجهه قد أخذ في عمل السفن حتّى صار عنده منها عدة كثيرة ، فحمل إلى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً كملت بهم عدة من معه اثني عشر ألفاً أقوياء ، حراصاً على اللقاء ، ومعهم يوليان المستأمن إليهم في رجاله وأهل عمله يدلهم على العورات ، ويتجسس لهم الأخبار . وانصرف طارق إلى تنظيم قواته ، فصيرها عسكرين ، أحدهما بقيادته المباشرة ونزل به جبل الفتح ، والآخر بقيادة طريف بن مالك النخعي وأداروا الأسوار على أنفسهم للتحصن . ونهض رودريك اليهم يجر الأعاجم والنصارى في زهاء أربعين ألفاً . فالتقوا بفحص شريش في (وادي برباط – أو وادي لكة) [1] قرب مدينة شذونه ، واستمرت المعركة ثمانية أيام تقريباً منذ بدايتها [2] وانتهت

---

(١) معركة وادي لكه (أو وادي بكه – تاريخ الشعوب الإسلامية – كارل بروكلمان – ص ١٣٨ – ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي) – وفيه الذي سمي خطأً في وقت من الأوقات باسم شريش العنزنتيره . وهذا احتمال أقرب إلى الصحة نظراً لبعد وادي شريش عن ميدان المعركة . وأما شذونه MEDINA - SIDONIAفهي كورة متصلة بكورة مورور– في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة إلى الشمال الغربي من الجزيرة الخضراء . (أي على حدود ميدان المعركة بحسب أوثق الروايات التاريخية) (نفح الطيب ١/١٤١)

(٢) بدأت المعركة يوم الأحد ٢٨ رمضان ٩٢ هـ = ١٩ تموز – يوليو – ٧١١ م .

بهزيمة القوط هزيمة ساحقة .

سمع الناس من أهل بر العدوة بفتح طارق للأندلس . فأقبلوا نحوه من كل وجه . وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق ، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وهربوا من السهل ولحقوا بالجبال . وعندما علم موسى (كتب إلى طارق يتوعده إن توغل بغير إذنه ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به) لكن طارقاً رغب في استثمار النصر بعد أن قضى على كتلة المقاومة الرئيسية ، فأسرع إلى المدائن يفتتحها ، فاقتحم شذونة عنوة . ثم مضى إلى المدور [١] وانتقل منها إلى قرمونة [٢] ثم إلى اشبيليا حيث صالح أهلها على الجزية . ومنها زحف إلى استجة حيث تجمعت فيها بقايا القوط لتشكل المركز الأول للمقاومة . فظفر طارق بصاحب المدينة ، وأرغمه على الصلح وفرض عليهم الجزية . وشكل طارق مجموعة قتالية أطلقها من استجة ، فوجه مغيثاً الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة في سبعمائة فارس ، وبعث جيشاً آخر إلى مالاقا . كما بعث قوة

(١) المدور ALMODOVAR : حصن حصين بالقرب من قرطبة (معجم البلدان ٧/ ٤١٧) .

(٢) قرمونة CARMONA : كورة (ناحية) تتصل بإشبيلية - غربي قرطبة وشرقي إشبيليا . (معجم البلدان ٦٢/٧)

ثالثة إلى البيرة [1] وسار هو بمعظم جيشه إلى كورة جيان [2] في طريقه إلى طليطلة [3] وعبر طارق الوادي الكبير فدخل طليطلة (سنة ٩٣ هـ — ٧١٢ م) دون مقاومة تذكر .

كان موسى بن نصير يتابع تحرك قوات المسلمين عبر الأندلس ، **وعرف أن توغلهم العميق أمر لا يتناسب وحجم القوى والوسائط التي يتصرفون بها** ، كما كانت لديه أوامر الخليفة الواضحة **(بعدم التغرير بقوة المسلمين)** . وأغضبه خروج طارق بن زياد على تعليماته وتوصياته ، وقرر معالجة

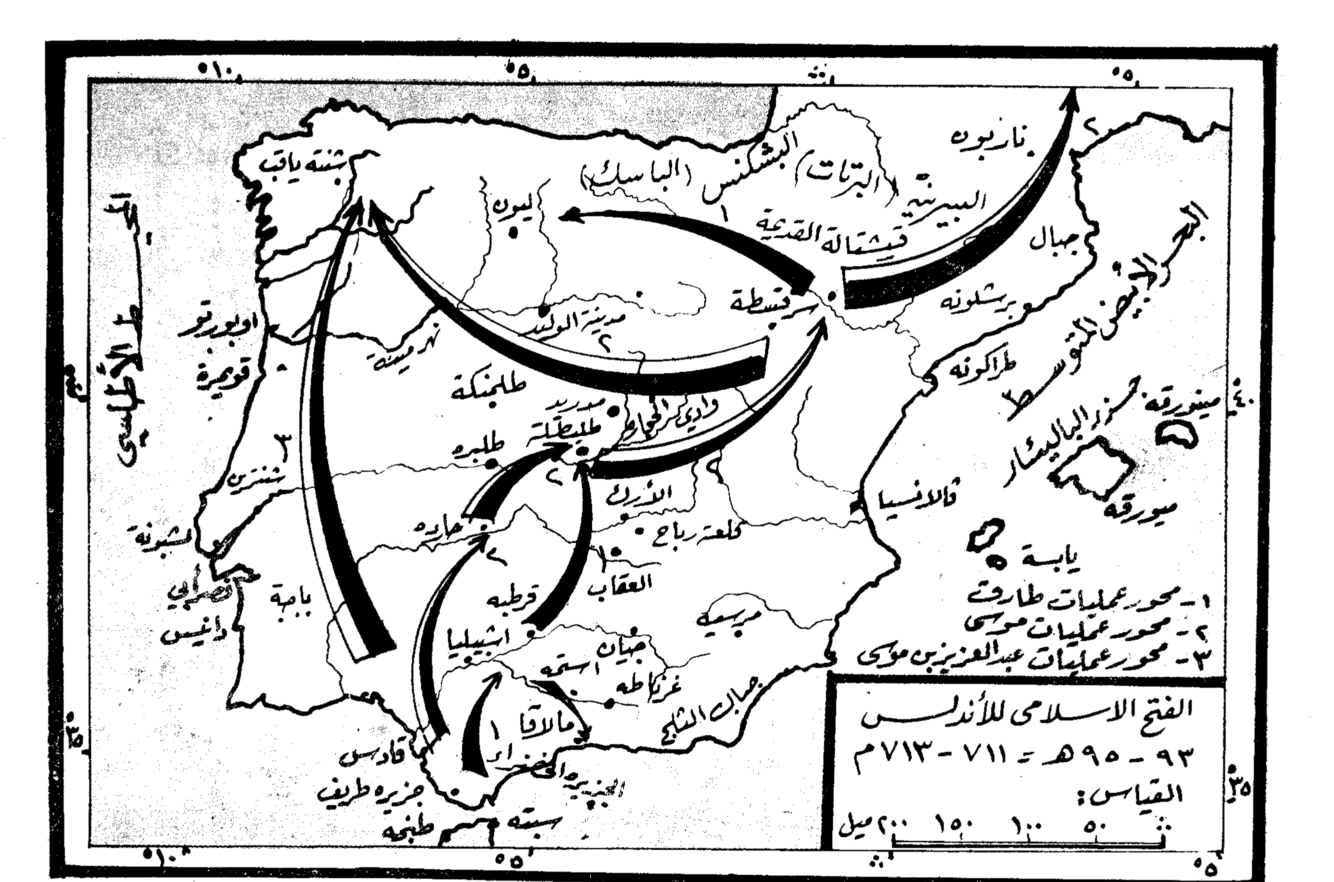
---

(١) البيرة ELVIRA : كورة (ناحية) نزلها جند دمشق ، وكانت مدينة البيرة قريبة من غرناطة ، بينهما ستة أميال (وفي المغرب في حلى المغرب ٩١/٢ ما يلي) : مملكة جليلة بين مملكتي قرطبة والمرية ومملكتي جيان ومالقة . وهي كثيرة الكتان والأشجار والأنهار وما يطول ذكره من صنوف الخيرات . وكانت البيرة قاعدة المملكة في القديم ، ولها ذكر شهير ، ومحل عظيم ، إلا أن رسمها قد طمس . ولم يبق منها إلا بعض أثر .

(٢) جيان JAEN : مدينة لها كورة (ناحية) بالأندلس . وهي مملكة جليلة بموسطة الأندلس ، معروفة بالمحارث والأخشاب . وهي بين غرناطة وطليطلة ومرسية ، وقد جمعت تناهي طيب الأرض وكثرة الثمر . وغزر السقيا واطراد العيون وكثرة الحرير . ومدينة جيان من أعظم مدن الأندلس في المنعة ، لا ترام بقتال . وتعرف بجيان الحرير لكثرته فيها .
(المغرب في حلى المغرب ٤٩/٢ — ٥١)

(٣) طليطلة TOLEDO : كانت عاصمة الأندلس قبل دخول طارق ، وهي مشرفة على ما يليها من الأندلس إلى الجنوب . وأصل التسمية لاتيني TULEDO ومعناها (أنت فارح) واشتهرت منذ أيام العرب المسلمين بصناعة السيوف المزينة بالنقوش العربية ولا زالت .

الموقف بنفسه . فنظم قوة مكونة من ١٨ ألف مقاتل ، وقادها إلى الأندلس ، لمتابعة أعمال الفتوح من جهة ، ولتكوين قوة دعم إضافية تأخذ على عاتقها دعم قوة المسلمين الرائعة التي كان يقودها طارق . وقد أحيطت هذه العملية ، عملية عبور موسى بجيش المسلمين ودعمه لطارق بن زياد ، بالكثير من التفسيرات ، بعضها مجانب للحقيقة ، وأكثرها غير واقعي وسيتم دحضها من خلال مجرى تحليل « فن الحرب » عند القائد العربي موسى بن نصير .


الفتح الإسلامي للأندلس
٩٣ - ٩٥ هـ = ٧١١ - ٧١٣ م
القياس:
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ ميل
١ - محور عمليات طارق
٢ - محور عمليات موسى
٣ - محور عمليات عبد العزيز بن موسى
البحر الأبيض المتوسط
البحر الأطلسي
جزر البليار
ميورقه
منورقه
يابسة
ناربونه
البرنيه
البتات
البشكنس
الباسك
قشتالة القديمة
جبال
برشلونه
طركونه
سرقسطة
ليون
مدينة الوليد
نهر دويره
طلمنكه
مدريد
طليطلة
طلبيره
وادي الحجارة
الأرك
قلعة رباح
ماردة
العقاب
قرطبه
اشبيليا
استجه
جيان
غرناطه
مرسية
فالانسيا
جبال الثلج
مالاقا
الجزيرة الخضراء
قادس
جزيره طريف
سبته
طنجه
باجة
قصر أبي دانيس
لشبونه
شنترين
قويمرة
اوبورتو
شنت ياقب

٣ ـ موسى بن نصير في الأندلس

أقبل موسى بن نصير إلى الأندلس ومعه جماعة الناس وأعيانهم . فكان دخوله إلى الأندلس في شهر رمضان (٩٣ هـ ـ ٧١٢ م) . وتنكب الجبل الذي حله طارق ، ودخل على الموضع المنسوب إليه ، والذي أصبح يعرف بجبل موسى . فلما احتل الجزيرة الخضراء قال :

« ما كنت لأسلك طريق طارق ، ولا أقفو أثره »

فقال له أصحاب يوليان « نحن نسلك بك طريقاً هو أشرف من طريقه ، وندلك على مدائن هي أعظم خطراً ، وأعظم خطباً ، وأوسع غنماً من مدائنه ، لم تفتح بعد ، يفتحها الله عليك إن شاء الله تعالى ، فملىء سروراً » .

حينما وطئت قدم موسى الأندلس ، أسرع يوليان للقائه ، وعقد معه مجلساً للتشاور في الأمر ، وأقام موسى أياماً للراحة والتأهب لخوض المعركة القادمة ، وعندما قرر المسير للقتال ،

جمع حوله رايات العرب ووجوه الكتائب وعددها يزيد على عشرين راية ، وتفاوض الجميع في الرأي . وكيف تكون الخطة العسكرية للفتح ، فأجمعوا على السير إلى اشبيليا [1] وغزو ما بقي من غرب الأندلس حتى أكشونية [2] وكان هذا الاجتماع قد تم عقده في المسجد الذي أقيم فيه (مسجد الرايات) إذ لم يبرح موسى موضعه ولا فارق مشهده حتى أمر بتخطيط الموضع واتخاذه مسجداً ، وكان يقابل بباب البحر من أبواب المدينة .

سار موسى بجيشه في جانب ساحل شذونه ، فافتتحها عنوة . وألقى أهلها بأيديهم إليه ، ثم سار إلى مدينة قرمونة [3] وليس بالأندلس أحصن منها ، ولا أبعد من يرومها بحصار أو قتال ، فدخلها بحيلة ، إذ توجه اليها أصحاب يوليان ، ودخلوا اليها وكأنهم فلال (فلول) وطرقهم موسى بخيله ليلاً ، ففتحوا لهم الباب ، وأوقعوا بالأحراس فملكت المدينة .

---

(١) اشبيليا SEVILLE : مدينة في جنوب الأندلس . مشمسة ، مبهجة ، مليئة بالزهور . يربطها بالبحر نهر الوادي الكبير R. GUADALQUIVIR من أعظم مدن الأندلس . بناها يوليوس قيصر JULIUS-CEASAR . (١٠١ – ٤٤ ق . م) حيث ردم على النهر الأعظم مكاناً وأقام فيه المدينة ، وأحدق عليها بأسوار من صخر صلد .

(٢) أكشونية OCSONOBA : مدينة على المحيط .

(٣) قرمونة CARMONA : مدينة إلى الشمال الشرقي من إشبيليا وعلى بعد ٣٥ كم منها . معقل عظيم من جهة الارتفاع .

قاد موسى جيشه بعد ذلك إلى رعواق [١] فافتتحها. وبلغ موسى أن اشبيليا قد نقضت عهدها الذي عقدته مع طارق ، فسار اليها ، وحاصرها حصاراً شديداً ، ولكنها امتنعت عليه أشهراً . ثم فتحها الله عليه . وهربت عاميتها إلى باجه [٢] فخلف موسى بها رجالاً .

ومضى من اشبيليا إلى ألقنت [٣] حيث سلم له أهلها دون مقاومة ؛ ومضى نحو هدفه متتبعاً طريقاً رومانية قديمة كانت تصل إشبيليا بماردة [٤] وسمي الطريق التي سلكها موسى بين لقنت وماردة باسم (فج موسى) ، وعندما وصل موسى إلى ماردة ، وجد أن أهلها قد تحصنوا . وهم في منعة شديدة وبأس عظيم ، فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم . وعمل موسى دبابة ، دب المسلمون تحتها إلى برج من أبراج سورها جعلوا

---

(١) رعواق ALCALA DE GUADAIRA وهي تعرف بقلعة وادي ابرة أو قلعة جابو .

(٢) باجه BEJA : كورة (ناحية) متصلة بكورة مارده – في البرتغال ، وتقع على بعد ١٤٠ كيلومتراً جنوب شرقي الأشبونة . وهي من أقدم مدائن الأندلس ، بناها أول قياصرة الرومان ، أرضها أرض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ، ويكثر عنه العسل (المغرب في حلى المغرب ١/٤٠٣) .

(٣) ألفنت FUENTE DE CANTOS وهي غير لفنت في جنوب الشاطىء الغربي من الجزيرة .

(٤) ماردة MERIDA إحدى القواعد التي بناها الرومان. بينها وبين قرطبة ستة أيام .

ينقبونه . فلما قلعوا الصخر أفضوا بعده إلى العمل المدعو بلسان العجم (ألاشه ماشه) [1] فنبت عنه معاولهم وعدتهم ، وثار بهم العدو على غفلة ، فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة . فسمي ذلك الموضع (برج الشهداء) . ثم دعا القوم إلى السلم ، فتقدم إليه قوم من أماثلهم وأعطاهم الأمان . وأمكن الوصول إلى الصلح (على أن تكون أموال القتلى يوم الكمين ، وأموال الهاربين إلى جيليقية ، وأموال الكنائس وحليها للمسلمين) ثم فتحوا له المدينة (يوم الفطر سنة ٩٤ ﻫ الموافق ٣٠ حزيران — يونيو — ٧١٣ م) .

اجتمعت بقايا قوات القوط في مدينتي باجة ولبلة [2] وأعادوا تنظيم أنفسهم ، وأعلنوا اعتصامهم في اشبيليا ، وقتلوا من المسلمين ثمانين رجلاً تقريباً ، ووصلت فلول المسلمين إلى موسى وهو يحاصر ماردة . فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز ابن موسى في جيش إليهم ، ففتح اشبيليا ، وقتل أهلها . ونهض إلى لبلة ففتحها ، واستقامت له الأمور هنالك وعلا الإسلام ، وأقام عبد العزيز باشبيليا على رأس حامية من المسلمين .

---

(١) ألاشه ماشه ARGAMASA : أي الإسمنت ، وفي المعاجم الاسبانية LAXMAX وهي كلمة لاتينية معربة ALAYA-MAYA

(٢) لبله NIEBLA كانت مركز ناحية تعرف باسمها وهي على بعد خمسين كيلومتراً غرب اشبيلية وتتبع مديرية ولبه HUELVA .
(نفح الطيب ١٦٨/١ ومعجم البلدان ٣١٩/٧) .

توجه الأمير موسى إلى ماردة في عقب شوال لمتابعة عملياته بعد أن قضى شهراً في ماردة وهو ينظم أمورها ويعيد تنظيم قواته استعداداً للمرحلة التالية وهي فتح شمال – غربي الأندلس ، والقضاء على بقايا قوات القوط ، وعلى رأسهم رودريك ، التي تجمعت هناك مستفيدة من وعورة المنطقة وصعوبة دروبها ومسالكها من جهة ، وحتى يكون باستطاعتهم الهرب إلى منطقة القلاع (قشتالة) [١] و (استرامادرة) اذا ما وطئت أقدام المسلمين شمال – غربي الأندلس . وتوافرت المعلومات للأمير موسى عن تجمع قوات رودريك في حصون سلسلة جبال (سيرا ديفرانسيا) [٢] للوثوب على جيش المسلمين وضرب مؤخراته .

كان هدف موسى الوصول إلى طليطلة ، ولهذا طلب موسى إلى طارق أن يلقاه في طلبيرة [٣] لاحباط خطة رودريك . وحتى يتم له القضاء على قواته . وخرج طارق بجيوشه ملبياً أوامر موسى . وسار مسافة ١٥٠ كيلو متراً تقريباً بحذاء وادي يقال له الأروكامبو [٤] . وانتظر موسى في مكان من هذا

---

(١) قشتاله : إقليم عظيم بالأندلس (في هضاب الميزيتا الصعبة من وسط الأندلس) .

(٢) سلسلة جبال دى فرانتيا SIERRA DE FRANCIA : مما يلي وادي أنه إلى الشمال .

(٣) طلبيرة TALAVERA مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، كبيرة ، قديمة البناء على نهر تاجه .

(٤) الأروكامبو VALLE DE ARROCAMPO .

الوادي بين التاجة ونهر التيتار . أصبح فيما بعد يعرف باسم المعرض [١] .

خرج طارق معظماً للأمير موسى ، ونزل بين يديه ، فعاتبه موسى على مخالفته لرأيه في تسرعه لاقتحام الأندلس من الوسط ، فاعتذر اليه طارق ، وقال له : (إنما أنا مولاك ، وقائد من قوادك وما فتحته وأصبته إنما هو منسوب اليك) فاصطلح موسى مع طارق ، وأظهر الرضى عنه ، وأمّره على مقدمته ، وأمره بالتقدم أمامه في أصحابه ، وسار موسى خلفه في جيوشه .

اتبع موسى وطارق الطريق الروماني القديم الممتد من ماردة إلى سلمنقة [٢] حتى وصل نقطة التقاء طريق ماردة – سلمنقة مع طريق ألبه دي تورميس – الى ثيودار رودريكو [٣] . ومضى في فج أصبح يعرف باسم (فج أو وادي موسى) [٤] وظن رودريك أن الفرصة قد أصبحت مناسبة للانقضاض على جيش

---

(١) المعرض ALMARAZ سمي بهذا الاسم، لأن موسى استعرض قواته عند الوصول إلى هذا الوادي (تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ٩٨) .

(٢) سلمنقه SALAMANCA مدينة بثغر الأندلس .

(٣) ألبه دي تورميس ALBA DE TORMES وثيودادرودريكو GIUDAD RODRIGO

(٤) وادي موسى VALMUZA .

المسلمين ، نتيجة لتوسطهم ذلك الطريق الطويل وابتعادهم عن كل مركز يمكن له تقديم دعم لهم . فقام بهجوم مباغت عرفه المسلمون باسم « معركة السواقي » [١] بالقرب من مدينة تمامس[٢] حيث وقعت المعركة الحاسمة الثانية (عام ٩٤ هـ — ٧١٣ م) . وفي هذه المعركة لقي رودريك مصرعه على يد مروان بن موسى ابن نصير ، وتمزقت بقية قوات القوط [٣] . وعندما كان القائد موسى بن نصير يخوض معركته الحاسمة ضد رودريك وبقايا القوط ، أعلن أهل طليطلة نقضهم للعهد ، مستفيدين من انشغال المسلمين عنهم ، وانصراف طارق عن حاضرتهم فأعاد موسى فتحها . وسلم طارق لموسى ما كان قد حصل عليه من مغانم الأندلس [٤] . وأقام موسى بطليطلة طوال فصل الشتاء

---

(١) السواقي : وهي سيجويلادي لوس كورنيجوس SEGOYUELS DE LOS CORNEJOS .

(٢) تمامس TAMAMES المجاورة لنهر باربالوس BARBALOS .

(٣) تذكر بعض المصادر العربية أن رودريك قتل في معركة وادي لكه . ولكن المصادر الأكثر وثوقاً والتي تؤيدها أيضاً دراسات الباحثين الغربيين تثبت أن رودريك لقي مصرعه في هذه المعركة . ولمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى فجر الأندلس — الدكتور حسين مؤنس ص ٩٨ ، وكذلك تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس — الدكتور السيد عبد العزيز سالم . ص ٩٨ — ١٠٠ .

(٤) كان من بين المغانم التي أحدثت دوياً هائلا ؛ تلك المائدة التي قيل خطأ أنها مائدة سليمان بن داوود عليه السلام ، ويجمع المؤرخون تقريباً على أن طارق قد غنم هذه المائدة — التي هي مذبح لكنيسة طليطلة — من مدينة المائدة (التي هي في الغالب قلعة هنارس ACALA-DE-HENARES) =

(من عام ٩٤ هـ — ٧١٣ م) بهدف تنظيم المجتمع الجديد وإعادة تنظيم قواته ، ثم ضرب النقود الذهبية والبرونزية لصرف أعطيات الجنود وذلك بدار السكة القوطية بطليطلة [١] .

= وأوضح ابن حيان قصة المائدة بقوله (وهذه المائدة المنوه باسمها ، المنسوبة إلى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام ، لم تكن له فيما زعم رواة العجم ، وإنما أصلها أن العجم في أيام ملكهم كان أهل الحسنة منهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس ، فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشباهها من الذهب والفضة ، تحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها . فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذه السبيل ، وتأنقت الأملاك في تفخيمها ، يزيد الآخر منهم فيها على الأول ، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات ، وطار الذكر مطاره عنها . وكانت مصوغة من خالص الذهب ، مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ، لم تر الأعين مثلها ، وبولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة ، وأنه لا ينبغي أن تكون بموضع آلة جمال أو متاع مباهاة إلا دون ما يكون فيها . وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة ، فأصابها المسلمون هناك ، وطار النبأ الفخم عنها . وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعله على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده إليه ، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأه عنده ، فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة إذ تنازعا عنده بعد الأثر في جهادهما ما هو مشهور) — انتهى — وقال بعض المؤرخين أن المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة . وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد ، وكلها مكللة بالجواهر — انتهى — (نفح الطيب ١/٢٧٢ — ٢٧٣) .

(١) رسمت هذه الدنانير الذهبية فكتب على وجه منها (محمد رسول الله) باللغة اللاتينية :

بعث موسى وهو في طليطلة رسولين إلى الوليد بن عبد الملك ينقلان اليه أخبار الفتح العظيم ، ووقع اختياره على التابعي علي بن رباح وكان رجلاً صالحاً في الثمانين من عمره تقريباً (١) ومغيث الرومي فاتح قرطبة ومولى الوليد بن عبد الملك (٢) فلما

IN NOMINE DON DEUX NISI. SOLUS SPIENS - NON DEO SIMILIS ALIUS

وفي الوجه الثاني نجمة ذات ثمانية أشعة (أذرع) وعليها

SOLIDUS FERITUS IN SPANIA

ويلي ذلك تاريخ سكها وهو سنة ٩٧ هـ . وقد تكون هذه استمراراً لما تم ضربه منها في عام ٩٤ هـ .

(١) علي بن رباح اللخمي – أبو عبدالله – من التابعين الداخلين للأندلس – ولد سنة ١٥ هـ (عام اليرموك) وكان أعوراً ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر مع عبدالله بن سعد سنة ٣٤ هـ . وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان . وكانت له عند عبد العزيز منزلة ، وهو الذي زف أم البنين بنت عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الملك ، ثم عنت عليه عبد العزيز فأغزاه أفريقية . فلم يزل بأفريقية حتى توفي بها عام ١١٤ هـ .
(نفح الطيب ٤/٨)

(٢) مغيث الرومي : وذكر ابن حيان أنه ليس برومي ، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ، سبي من الروم بالمشرق وهو صغير . فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد . وأنجب في الولادة . وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة ، وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم . وقد كلفه طارق بفتح قرطبة ، فأظهر كفاءة حتى فتحها ثم فتح الكنيسة التي تحصن بها ملك قرطبة ، كان شديد الذكاء ، عظيم الدهاء ، زلق اللسان لم يذكر له مولداً ولا وفاة .
(نفح الطيب ٢/١٢)*.

دخل وفد موسى على الوليد . قال علي بن رباح : (يا أمير المؤمنين ! تركت موسى بن نصير في الأندلس ، وقد أظهره الله ونصره ، وفتح على يديه ما لم يفتح على يد أحد ، وقد أوفدني إلى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه) . ثم رفع اليه الكتاب من عند موسى ، فقرأه الوليد ، فلما أتى على آخره خر ساجداً .

قرر موسى متابعة فتح شبه جزيرة الأندلس . بعد أن انقضى فصل الشتاء ، واطمأن إلى رسوخ دعائم المجتمع الجديد . فجمع جيوشه وزحف نحو سرقسطة [1] وكان طارق على مقدمته وقد أمره بالتقدم أمامه في أصحابه وسار موسى خلفه في جيوشه . فارتقى إلى الثغر الأعلى ، لا يمر بموضع الا افتتحه . وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب الصلح . وموسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه ، ويوثق للناس ما عاهدوه عليه . وعندما أشرفت طلائع المسلمين على سرقسطة ، أسرع أسقفها بنسيو [2] وقد تملكه الرعب فانصرف ومن معه من الرهبان لجمع كتبهم

---

(١) سرقسطة SARAGOSSA : أهم مدن أراغون في شمال – شرقي الأندلس ، تقع على نهر ابره EBRO ، وقد بناها القيصر أوغست CAESAR - AUGUSTA عام ٢٣ ق . م . على أنقاض المدينة الايبيرية القديمة التي كانت تعرف باسم سلدوبا SALDUBA .

(٢) – الأسقف بنسيو BENCIO : (فجر الأندلس – الدكتور حسين مؤنس ١٠٢) .

المقدسة وذخائرهم الموروثة ، وأجمعوا على الفرار من البلد والفرار بهذه الذخائر . وعندما علم موسى بذلك أرسل اليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده . فسكنت مخاوفهم . وعدلوا عن مغادرة المدينة ، وفتحت سرقسطة أبوابها للمسلمين (٩٤ هـ – ٧١٣ م) [١] وانطلق موسى نحو الشمال ففتح وشقة ولاردة وطركونة وكانت أغلب المناطق التي سار فيها الجيش أرضاً جرداء ، يتحدث أهلها بلغة (لاتينية) لا يفهمها الاسبان الآخرون الملازمون لموسى ، فزهد المسلمون في هذه البلاد التي يسكنها قوم كالبهائم . وحين أوغل موسى وجاوز سرقسطة ، اشتد ذلك على الناس . وقالوا : « أين تذهب بنا ؟ » حسبنا ما في أيدينا . وكان موسى قال حين دخل أفريقية ، وذكر عقبة بن نافع : « لقد كان غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو ، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ » فسمعه حنش الصنعاني ، فلما بلغ موسى ذلك المبلغ من التغلغل عمقاً في الفتح ، قام حنش فأخذ بعنانه ، ثم قال : « أيها الأمير ، إني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن

---

(١) وكان التابعي حنش الصنعاني (من صنعاء الشام) في جيش موسى ، وهو الذي أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة . وعندما وصل سرقسطة أسس جامعها مناراً للاسلام . وبها مات . وقبره بها معروف عند باب اليهود – غربي المدينة . وهو الذي أخذ أيضاً قبلة جامع البيرة ، وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذي هو فخر الأندلس .
(نفح الطيب ٣/٨) .

نافع تقول : لقد غرر بنفسه وبمن معه ، أما كان معه رجل رشيد ؟ وأنا رشيدك اليوم . أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا ؟ أو تلتمس أكثر مما آتاك الله عز وجل ، وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك اني سمعت من الناس ما لم تسمع ، وقد ملأوا أيديهم وأحبوا الدعة » فضحك موسى ثم قال : « أرشدك الله وكثر في المسلمين أمثالك » ثم انصرف قافلاً إلى الأندلس وهو يقول : « **أما والله لو انقادوا إلي لقدتهم الى رومية « روما » ثم يفتحها الله على يدي إن شاء الله** » . ثم إن موسى أقام لتمييز ذلك وقتاً ، وأعاد تنظيم قواته ، وبعث سراياه بقيادة طارق فملكت مدينتي برشلونة [1] وأربونة [2]

---

(١) برشاونة BARCELONA عاصمة كاتالونيا CATALONIA. ثاني مدن الأندلس في الأهمية . يزيد عمر المدينة على ألفي عام ، تقع المدينة فوق سهل مستو رملي ، تحيط بها الطنف المكونة من الحجر الرملي وتعتبر ضاحية جبل الشويخ MONT JUICH بحدائقها ومنتزهاتها وشوارعها المتعرجة الضيقة نموذجاً للمدن العربية القديمة . وتقع برشلونة على البحر الأبيض المتوسط . ويعتبرها بعض جغرافيي العرب ليست من مدن الأندلس . وانما من مدن الافرنج (فرنسا) .

(٢) أربونة NARBONA : مدينة على البحر الأبيض المتوسط، عند السفح الشرقي لجبال البيرەنه من المدن الافرنسية . اتخذها المسلمون ثغراً متقدماً وهي إلى الشمال الشرقي من قرقشونه .

وصخرة أبينيون [١] وحصن لوذون [٢] على وادي رُودنه [٣] وكان وادي رُودنه ، « هو أقصى أثر العرب ومنتهى موطئهم من أرض العجم (فرنسا) » .

في الوقت الذي كان فيه موسى يطهر الشمال من بقايا القوط ، كان ابنه عبد العزيز ينطلق بجيش من المسلمين لفتح غرب الأندلس (البرتغال حالياً) ، فانطلق من باجه إلى يابرة [٤] ومنها إلى شنترين [٥] ثم الىقلمرية [٦] وتابع تقدمه حتّى استرقة في جيليقية [٧] . وقد استغرقت هذه العملية سنة ٩٥ هـ =

---

(١) صخرة أبينون AVIGNON : مدينة صغيرة في جنوبي فرنسا. إلى الشمال من آرل على نهر الرون .

(٢) لوذون LEON : (ليون) من المدن الافرنسية في وادي الرون، وهي غير ليون في جيليقية .

(٣) وادي رودنه V. RHONE : هو وادي الرون حيث يخترقه نهر الرون الذي يصب في مرسيليا .

(٤) يابره EVORA : من المدن المشهورة في المملكة البطليوسية – وهي في غرب الأندلس .

(٥) شنترين SANTAREM : مدينة في كورة باجة منمنطقة البرتغال. وتبعد٦٧ كيلومتراً عن الاشبونا شمالا . تقع على نهر التاج (تاجة) قرب انصبابه في المحيط ، وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة أربعة أيام . (معجم البلدان ٥/٣٠٠) .

(٦) قلمرية – COIMBRA : تقع شمال شنترين .

(٧) استرقة ASTORGA : من مدن اقليم جيليقية ، تتميز بمنعتها ووعورة المسالك فيها . تقع إلى الغرب في اتجاه الشمال من مدينة لبلة NIEBLA . أما جيليقية فهو أصعب أقاليم الأندلس . يقع إلى الشمال – الغربي من شبه الجزيرة . ويلفظ غاليسيا GALICIA .

٧١٤م كلها. وفي استرقة تم لقاء موسى بابنه عبدالعزيز. وقيل (إن موسى بن نصير أخرج ابنه عبد الأعلى إلى تدمير [١] ففتحها وإلى غرناطة [٢] ومالاقا [٣] وكورة ريا ففتح الكل) [٤] .

خضعت الأندلس في معظمها لقوات المسلمين ، ولم تبق إلا منطقة واحدة لم تدخلها قواتهم هي جيليقية ، وكانت نفسُ موسى بن نصير في ذلك كله تنزعج إلى دخول دار الكفر (جيليقية) ، فبينما هو يعمل في ذلك ويعدله ، إذ أتاه مغيثٌ الرومي ، رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه ، يأمره بالخروج عن الأندلس ، والاضراب عن الوغول فيها . ويأخذه بالقفول اليه ، فساءه ذلك ، وقطع به عن إرادته . فلاطف موسى مغيثاً

---

(١) تدمير TADMEER . من كور الأندلس الشرقية ، وتسمى مصر أيضاً لكثرة شبهها بها لأن لها أرضاً يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها . فتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبة بعد تدمير (مرسية) وتسمى البستان لكثرة جناتها . (نفح الطيب ١/١٦٤).

(٢) غرناطة GRANADA : مثل شعارها (الرمانة المفتوحة) تقع فوق ثلاثة تلال جنوب جبال الثلج (سيرا نيفادا) من أشهر بلاد الأندلس . وهي دمشق بلاد الأندلس وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق ، لأن جند دمشق نزلوها عند فتحها ، وقيل إنما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار . (نفح الطيب ١/١٤٨) .

(٣) مالاقا MALAGA : مدينة عامرة. تعتبر ميناء لغرناطة، لا زالت تحتفظ بآثار رومانية وعربية . أما البيرة ELVIRAفهي بلدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس .

(٤) نفح الطيب ١/٢٧٥ .

رسول الخليفة ، وسأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في الدخول اليها والمسير معه في البلاد أياماً ، ويكون شريكه في الأجر والغنيمة ، ففعل ، ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو [1] وحصن لك [2] فأقام هناك ، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي [3] على البحر الأخضر (المحيط الأطلسي)

---

(١) حصن بارو – وهو يقابل VISEU الواقع إلى الجنوب الشرقي من أوبورتو ، ويرى بعض المؤرخين أن وصول موسى إليها ، حيث كان في وقت قصير ، أمر عسير جداً ، ولذا قدروا أن تكون بارو ، أو بارو في منطقة بلد الوليد ، أي البلد المسماة VILLA BARUZ .

(٢) حصن لك هي LUCUS ASPURUM وتسمى اليوم MARIA DE LUGO

(٣) صخرة بلاي PENA-DE-PELAYO ، وهي أقصى نقطة من أشتريس على المحيط الأطلسي أما بلاي الذي تنسب الصخرة اليه فقد جاء ابن حيان على ذكره (بعد أن فتح المسلمون الأندلس ، قام بجيليقية علج خبيث يدعى بلاي ، فعاب على العلوج طول الفرار ، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر ، ودافع عن أرضه . ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم ... وقيل : انه لم يبق بأرض جيليقية قرية فما فوقها لم تفتح إلا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعاً ، إلى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة ، وما لهم عيش إلا من عسل النحل في جياح (خلايا) معهم في خروق الصخرة ، وما زالوا ممتنعين بوعرها ، إلى أن أعيا المسلمين أمرهم . واحتقروهم ، وقالوا : ثلاثون علجاً ما عسى أن يجيء منهم . فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه إلى أن ملك عقب من كان فيها مدن الأندلس العظيمة (للمزيد عن بلاي راجع نفح الطيب ١٧/٣ و٣٥٠/٤ و ٣٥١ . وكذلك أخبار مجموعة ٦١ ، وابن عذارى ٢٩/٢ وفجر الأندلس – الدكتور حسين مؤنس ٣١٣ – ٣٤٢) .

فلم تبق كنيسة إلا هدمت ، وسكنت العرب المفاوز ، وكان العرب والبربر كلما مرَّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين ، فاتسع نطاق الإسلام بأرض أندلس . ووهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب اليه وهو (بلاط مغيث) بجميع أرضه ، من أرض الخمس نظير إمهاله بعض الوقت ومصاحبته في غزو جيليقية .

عندما حقق موسى أهدافه ، بادر بالسير شمالاً لفتح قشتالة (القديمة) . وكان يتفرع من سرقسطةطريقان رومانيان يتجهان من الشرق إلى الغرب ، الأول يذهب بحذاء نهر ابرة (الابرو) حتى هارو [١] ومن هناك يتبع برفيسكا [٢] ثم أماية ثم ليون [٣] وأسترقة . والثاني ينفصل من الطريق الأول عند بدايته ، ويتجه إلى قلونية وبلنسية [٤] . ويلتقي بالطريق الممتد من ماردة إلى استرقة [٥] في مدينـــة بنافنتي . وقسم موسى جيشه إلى مجموعتين قتاليتين . مجموعة بقيادتـــه ، والأخرى بقيادة طارق . وعهد موسى إلى طارق بالســير في الطريـــق

---

(١) نهر ابرة ـ R. EBRO : نهر ينبع من القلاع وترفده روافد كثيرة في شمالي الأندلس ، يصب في البحر الأبيض المتوسط عند طرطوشة . وأشهر المدن التي تقع عليه ، مكناسة . وسرقسطة ، وتطيلة . وهارو HARO

(٢) برفيسكا ـ BARIVIESCA . واماية AMAYA .

(٣) ليون ـ LEON بلد في منطقة جيليقية .

(٤) بلنسية ـ BALENCIA كورة ومدينة بالأندلس شرق قرطبة .

(٥) استرقة ـ ASTORGA .

الأول . أدنى سفوح جبال كنتبريه ، واختار موسى الطريق الثاني ، وقد شرع طارق بمهاجمة البشكنس (الباسك) غربي نهر ابره ، فلم يجد زعيم هذه المنطقة (فرتون) بدأً من الدخول في طاعة المسلمين ، ثم اعتنق الإسلام ، ولهذا أعفيت شية [1] منطقته من التخميس (واليه ينسب بنو قسي أصحاب الثغر الأعلى الذين كان لهم شأن في تاريخ مسلمي الأندلس) ثم تابع طريقه ففتح أماية واسترقة كما فتح ليون أيضاً .

في الوقت الذي كان فيه طارق يسير على محور تقدمه (المحور الشمالي) كان موسى يسير على الضفة الشرقية لنهر ابرة في اقليم قشتالة . فأطاعه معظم من مر بهم من رؤساء هذه الناحية . وبدلاً من أن يعرج على استرقة ليلتقي بجيش طارق ، فقد انحرف الى الشمال ، ثم سار حتى بلغ خيخون [1] ومنها أرسل سراياه إلى جميع النواحي .

أصبح على موسى بن نصير ، وقد أنهى الأعمال القتالية ، أن ينظم المجتمع الجديد ، حتى انه « **لم يبق بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم . وتصيرت ملكاً لهم ، إلا قسم** بينهم أراضيها ، إلا ثلاثة بلاد وهي شنترين ، وقلمرية في الغرب وشية في الشرق ، وسائر البلاد خمست وقسمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى بن نصير » .

---

(١) شية — EJEA .

(٢) جيجون — GIJON .

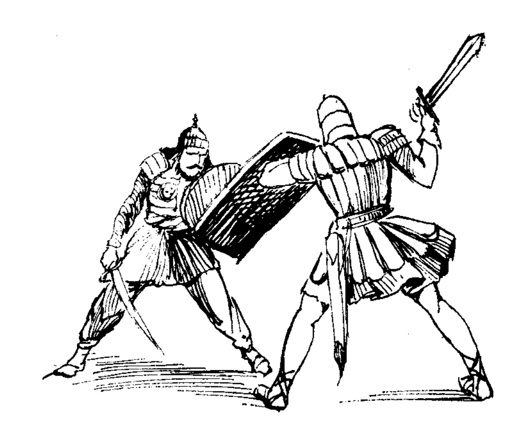
وأصبحت الحدود الشمالية مع بلاد الإفرنج (فرنسا) آمنة ، فنظم موسى الثغور مع فرنسا [1] . وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل ، إذ قدم عليه رسولٌ آخر من الخليفة يكنى «أبو نصر» أردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول ، وكتب اليه يوبخه ، ويأمره بالخروج ، وألزم رسوله إزعاجه . فانقلع حينئذ من مدينة لك بجيليقية ، وخرج على الفج المعزوف (بفج موسى) ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الأعلى ، فأقفله مع نفسه ، ومضيا جميعاً ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها ، وقفل معه الرسولان

---

(١) تذكر بعض المصادر أنه عندما تجاوزت قوات المسلمين جبال البيرينه « (اجتمعت الافرنج إلى ملكها الأعظم قارله CARLUS = CHARLE شارل المطرقة) وقالت له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها . واستولوا على بلاد الأندلس . وعظيم ما فيها من العدة والعدد . بجمعهم القليل . وقلة عدتهم . وكونهم لا دروع لهم ، فقال لهم ما معناه : (الرأي عندي أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه ، فانهم كالسيل يحمل من يصادره ، وهم في إقبال أمرهم . ولهم نيات تغني عن كثرة العدد . وقلوب تغني عن حصانة الدروع ، ولكن امهلوهم حتى تمتلىء أيديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض ، فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر) » .

عن الحجازي في المسهب (نفح الطيب ١/٢٧٤ — ٢٧٥) .

مغيث وأبو نصر حتّى احتلوا باشبيلية ، فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الأندلس ، وأقره بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر نظراً لقربه من مكان المجاز ، وركب موسى البحر الى المشرق بذي الحجة سنة خمس وتسعين وطارق معه .(٧١٤ م) .



الفصل الثاني

موسى وفن الحرب

آ ــ في الاستراتيجية العليا

١ ــ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة

٢ ــ بناء المجتمع الجديد .

٣ ــ وضوح الهدف .

٤ ــ الحرص على العنصر العربي (دعامة الإسلام) .

٥ ــ استراتيجية الحرب التشتيتية .

٦ ــ استراتيجية الهجمات الوقائية .

ب ــ في مبادىء الحرب

١ ــ المباغتة .

٢ ــ أمن العمل .

٣ ــ الحركية .

٤ ــ المبادأة واستخدام القوة الهجومية .

٥ ــ الاقتصاد بالقوى .

٦ ــ المحافظة على الهدف .



آ ـ في الاستراتيجية العليا

« أما والله لو انقادوا إلي لقدتهم إلى
رومية ، روما ، ثم يفتحها الله على
يديَّ إن شاء الله »

(موسى بن نصير)

يظهر العرض السابق – على ما به من ايجاز – الملامح العامة لكفاءة موسى بن نصير القيادية . وهي كفاءة تمتزج فيها أسس الاستراتيجية العليا بمبادئ الحرب في إطار التكامل الرائع ، والتوازن الدقيق المحكم وذلك عند مجابهة كل موقف من المواقف . وربما كانت المعرفة الدقيقة لميزات العدو والصديق . والتقدير الصحيح للمعطيات الثابتة والمتغيرة هي ما تميزت به شخصية موسى القيادية .

جلس موسى بن نصير يوماً إلى سليمان بن عبد الملك ، بعد عودته إلى دمشق واستقراره فيها . فسأل سليمان « **أي الأمم كانوا أشد قتالاً ؟** » وأجاب موسى « إنهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم ! » فقال له : **أخبرني عن الروم** . فقال موسى :

« أسود في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، نساء في مواكبهم . إن رأوا فرصة افترصوها ، وإن خافوا غلبةً فأوعال ترقل — تسرع — في أجبال ، لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة ! » قال سليمان : « **فأخبرني عن البربر** » فقال « هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب : لقاء ونجدة ، وصبراً وفروسية ، وسماحة وبادية ، غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر — قبل اسلامهم » . قال : « **فأخبرني عن الأشبان** — الإسبان » ، فقال : « ملوك مترفون ، وفرسان لا يجبنون » فقال : « **فأخبرني عن الافرنج** » فقال « هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة ، والجلد والشدة ، وبين ذلك أمم كثيرة ، ومنهم العزيز ومنهم الذليل ، وكلاً قد لقيت بشكله ، فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور ، والعزيز البذوخ » فقال : فأخبرني كيف كانت الحروب بينك وبينهم ، أكانت عقباً — بمعنى التناوب بين النصر والهزيمة — فقال : « يا أمير المؤمنين ، **ما هزمت لي راية قط. ولا فُضَّ لي جمع ، ولا نكب المسلمون معي نكبة ، منذ اقتحمت الأربعين إلى أن شارفت الثمانين** » وهنا رغب سليمان بممازحته فقال له « فأين الراية التي حملتها يوم — مرج راهط — مع الضحاك ؟ » فأجابه موسى فوراً : « تلك يا أمير المؤمنين زبيرية ، وإنما عنيت المروانية » فقال سليمان : « صدقت ، وأعجبه قوله » .

تلك هي بعض من ميزات موسى القيادية ، معرفة شاملة وعميقة ، وقوة في الشخصية ، وحضور بديهة . يمكن من خلالها تحديد معالم الاستراتيجية العليا عنده ، وتطبيق مبادئ الحرب وفقاً للظروف والمواقف .

١ ـ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

عندما وصل موسى بن نصير افريقية ، حدد مخطط عملياته. على أساس(**عدم التعرض للعدو الأقصى قبل القضاء على العدو الأدنى ، وكذلك عدم التوغل قبل احتلال القلاع جميعها . وتصفية كل مقاومة في الجبال**)وقد طبق موسى هذه الاستراتيجية بدقة ، منطلقاً من القيروان إلى ما حولها . وأخضع القبائل المتمردة على التتابع . وعندما أصبح الأمن مستتباً ، انتقل إلى المغربين الأوسط والأقصى (الجزائر والمغرب) دون أن يخشى انتفاض قبيلة أو ثورة مدينة .

طبق موسى بن نصير هذه الاستراتيجية ذاتها عندما وجه طارقاً لفتح الأندلس ، فأوصاه بعدم مغادرة مواقعه (في وادي لك) وعندما بلغه توغل طارق ، غضب ، وأسرع إلى قواته يحشدها ، وينقلها عبر مضيق طارق ، ثم يقودها في الأندلس وفق هذه الاستراتيجية ذاتها . بحيث لم يتقدم من موقع إلى موقع قبل القضاء على كل مقاومة .

إن هذا يوضح استمرار الصراع لمدة ثلاثة أعوام . كان العمل يتم خلالها بالتوسع التدريجي ، على محاور واضحة وفي مناطق مميزة . وعندما وجد موسى نفسه مرغماً على ترك مسرح عملياته ، بذل كل ما يستطيعه حتى يترك قاعدة قوية ومأمونة ، فأقنع مغيثاً الرومي بالتأخرلتصفية بقية قوات القوط في جيليقية وفي المناطق الشمالية (قشتالة والباسك). وبعد أن أكمل تحصين

قاعدة (الأندلس) غادرها وهو مطمئن إلى سلامة موقف المسلمين فيها .

لقد جابه القائد موسى بن نصير مواقف جديدة تتناقض مع استراتيجيته في (الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة) . فقد كانت بعض المقاومات تعتصم في حصونها المنيعة ، وترفض التسليم أو الاستسلام . على نحو مـــا حدث في (سبتة) حيث امتنع يوليان عن التسليم واستمر في المقاومة . كما تكرر مثل هذا الموقف في الأندلس ، وكانت طريقة معالجة هذا الموقف هي ترك حامية قوية تحكم الحصار على الأعداء ، ولا تغادرهم حتى ترغمهم على الإستسلام . وقد أصبحت هذه الطريقة بمثابة عقيدة ثابتة عند موسى بن نصير . فقد بعث سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى أرض الروم . ووجه معـــه خمسمائة وثلاثين ألف رجل وخمسمائة ممن ضمه الديوان واكتتب في العطاء . ودعا سليمان موسى بعد أن رضي عنه على يد عمر بن عبد العزيز ، فقال سليمان له : « **أشر علي يا موسى ، فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله ، بعيد الأثر ، طويل الجهاد** » فقال له موسى : « أرى يا أمير المؤمنين أن توجهه بمن معه ، فلا يمر بحصن إلا صيّر عليه عشرة آلاف رجل ، حتى يفرق نصف جيشه ، ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية . فإنه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين » فدعا سليمان مسلمة . فأمره بذلك عن مشورة موسى .

تظهر على ضوء هذه الاستراتيجية الملامح الواضحة لتطلعات القائد موسى بن نصير ، « لقد أجمع موسى ، **أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ، ويتجاوز إلى الشام دروبه ودروب** الأندلس ، ويخوض اليه ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية ، مجاهداً فيهم ، مستلحماً لهم ، إلى أن يلحق بدار الخلافة » .

إن هذه التطلعات ليست ضرباً من الخيال الطوباوي ، وإنما هي خطة استراتيجية تعتمد على التوسع التدريجي والانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ، إلى قاعدة جديدة ، تماماً كما حدث عند فتح الشام والعراق ، حيث توقف المسلمون ، وأعادوا بناء القاعدة ، وأفادوا من إمكاناتها للانطلاق شرقاً حتى أزالوا الامبراطورية الفارسية وغرباً حتى أزالوا الوجود البيزنطي من افريقيا . وقد أفاد موسى من نجاح تجربته في افريقية أولاً ، ثم في الأندلس ثانياً ، ليعزز يقينه في صحة هذه الاستراتيجية وامكان تطبيقها لتحقيق تطلعاته الطموحة. لقد كان نجاح هذه. الخطة يعتمد على مجموعة من العوامل أولها العامل الزمني . ولم يكن القائد موسى في عجلة من أمره عندما قال « أما والله لو انقادوا إلي لقدتهم إلى روما ثم يفتحها الله على يدي إن شاء الله » فقد كان يشعر أن باستطاعته تحقيق ذلك على مراحل زمنية متتابعة . والثاني هو عامل القوى والإمكانات ، ولا ريب أنه كانت لدى موسى القوى اللازمة لتحقيق مخططه الطموح ، وعلاوة على ذلك ، فقد كان باستطاعته الإفادة من قوى (القاعدة المأمونة السابقة) لمهاجمة القاعدة التالية واحتلالها . ثم تجنيد

امكانات وقوى هذه القاعدة للانتقال إلى غيرها وهكذا .

إن التزام القائد موسى بن نصير بهذه الإستراتيجية ، وتمسكه بها ، يوضح سبب غضبه عندما بلغه توغل طارق بن زياد ومخالفته لتعليماته ، ويدحض بالتالي (قصة الغيرة والحسد . وغير ذلك من الصفات التي لصقت باسم القائد المسلم عن قصد وعن غير قصد) فالخلاف هو خلاف مبدئي ، يرتفع عـن النوازع الشخصية ، ونقاط الضعف الناتجة عن الانفعالات الإنسانية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان عمل موسى بهذه الاستراتيجية ان هو إلا برهان عميق على صدق ايمان الرجل بما جاء به الإسلام من تعاليم قتالية ، وما طبقه الرسول القائـد صلى الله عليه وسلم في حروبه وقلده القـادة التابعون بعد ذلك .

٢ ــ بناء المجتمع الجديد .

عندما عاد موسى إلى القيروان ــ بعد فتح المغرب أدناه وأقصاه ــ استعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد ، وترك عنده ١٩ ألفاً من البربر بالأسلحة والعدة الكاملة ، وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم . وترك موسى عندهم خلقاً يسيراً من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الإسلام . فقد كـان الهدف مـن الفتوحات : تعليم القرآن ومبادىء الإسلام . وإعادة تنظيم المجتمع بشكل يؤدي إلى سيادة قيم

مختلفة عن السابقة . ومثل لم تكن له من قبل ، وكان واجب العرب هو الاضطلاع بهذا العبء . وقد استمر موسى بتنفيذ هذا الواجب بدقة في كل موقع ينزله ، وعند كل مدينة يقتحمها ، وكانت طريقته هي ترك حامية من أهلها مع عدد يسير من العرب (لتعليم القرآن وفرائض الإسلام) .

وعندما نزل موسى بالأندلس ، وقبل أن يغادر الجزيرة الخضراء ، عقد اجتماعاً في المسجد الذي أقيم فيه (مسجد الرايات) ، إذ لم يبرح موسى موضعه ولا فارق مشهده حتّى أمر بتخطيط الموضع واتخاذه مسجداً . وقد كرَّر ذلك في قرطبة ، وإشبيليا ، وسرقسطة ، وفي كل مدينة وصلها موسى من مدائن افريقية والأندلس . ليكون ذلك حجراً أساسياً في بناء المجتمع الجديد . وهو مما يدل على تصميم موسى وحفاظه على الهدف .

كان بناء هذه القاعدة الروحية يتطلب إعادة بناء القاعدة المادية أيضاً فعمل موسى على ضرب عملة ذهبية للتداول عندما كان في افريقية ، وعندما استقر به الأمر في طليطلة ، اعتبر موسى أن إقليم الأندلس يتبع ولايته في افريقية ، فأعاد العملية ذاتّها وضرب نقوداً ذهبية ، للتعامل بدينار يحمل شعار المسلمين .

وكانت عملية بناء المجتمع الجديد تتطلب تحديد العلاقة بين السكان بعضهم مع بعض من جهة وبينهم وبين المسلمين

من جهة أخرى . ونظراً لما كان يتطلبه ذلك من وقت ، فقد كان أحد العوامل التي فرضت على موسى بن نصير التوقف في كل منطقة قبل متابعة الفتوح ، وعدم الانتقال من قاعدة إلى قاعدة قبل تحديد العلاقات الجديدة وفقاً للتشريع الإسلامي وكان هذا العامل هو أحد عوامل تثبيت (القاعدة القوية والمأمونة) للمسلمين . وعندما غادر موسى الأندلس عائداً إلى الشام كان الوضع كما ذكرنا سابقاً : « لم يبق بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم وتصيرت ملكاً لهم ، إلا قسم أراضيها عليهم .. وخمست سائر البلاد ، وقسمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى بن نصير » .

كان موسى في عمله هذا ، متبعاً غير مبتدع ، ومقلداً غير مجتهد ، فقد كانت أمامه سيرة الخالدين من الفاتحين المسلمين ، أبو عبيدة وسعد وعمرو بن العاص وغيرهم ، وكانت أسس الشريعة ، واجتهادات أُمراء المؤمنين قد عالجت المواقف المختلفة جميعها . وحددت العلاقات دون لبس أو غموض . ولكن القواعد والقوانين تبقى نصوصاً جامدة ، إن لم تبعث فيها الحياة عند تطبيقها ، وهنا تظهر كفاءة موسى بن نصير ، فقد كان يعمل بعيداً عن مقر الخلافة ، وكانت مجابهة المواقف تتطلب السرعة في اتخاذ القرار والحزم في تنفيذه ، لا سيما وأن مصير المجموعات الإنسانية مرتبط بهذه القرارات ، وعلاوة على ذلك فقد كان (بناء المستقبل) أيضاً متعلق بعدالة هذه القرارات وصحتها . ولم يكن موسى ينفرد بالأمر ، بل

كان يعقد الأمور . بحضور التابعين في كثير من الأحيان . وكان يلجأ إلى الخليفة إذا ما وجد ضرورة لذلك . وقد حفظت المصادر التاريخية سلوك موسى مع أبناء غيطشة (ملك الأندلس الذي خلعه رودريك واستولى على سلطته وأملاكه ، فكان أولاده من أنصار المسلمين في فتوحاتهم) . وقد توجه أولاد غيطشة إلى طارق بالأمان ، بعد أن استقر له الأمر ، وقالوا له : أنت أمير نفسك أم فوقك أمير ؟ فقال : بل على رأسي أمير ، وفوق ذلك الأمير أمير عظيم . فاستأذنوه باللحاق بموسى بن نصير بإفريقية ليؤكد سببهم به ، وسألوه الكتاب إليه بشأنهم معه ، وما أعطاهم من عهده ، ففعل ، وساروا نحو موسى . فتلقوه في انحداره إلى الأندلس بالقرب من بلاد البربر ، وعرفوه بشأنهم ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم ، فأنفذهم إلى أمير المؤمنين ، الوليد بالشام بدمشق . وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم . فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم ، وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم ، وعقد لكل واحد منهم سجلاً ، وجعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم ، فقدموا الأندلس ، وحازوا ضياع والدهم أجمع ، واقتسموها على موافقة منهم ، فصار منها لكبيرهم (ألمند) ألف ضيعة في غرب الأندلس ، فسكن من أجلها إشبيلية مقترباً منها . وصار (لأرطباش) ألف ضيعة،وهو تلوه في السن . وضياعه في موسطة الأندلس ، فسكن من أجلها قرطبة . وصار لثالثهم (وقلة) ألف ضيعة في شرق الأندلس وجهة

الثغر ، فسكن من أجلها طليطلة ، فكانوا على هذه الحالة صدر الدولة العربية .

لقد كان استخدام القوة عند موسى بن نصير ، وسيلة لا غاية ، وقد استطاع استخدام هذه الوسيلة بكفاءة عالية . وفي إطار لا يتعارض مع إقامة سلم مقبل . فضمن بذلك تنفيذ أساس الاستراتيجية العليا (في بناء المجتمع الجديد) .

وكان التنفيذ الرائع في تحقيق التوازن بين استخدام القوة المسلحة وبين الوصول إلى الهدف في ضمان سلم دائم ، هو أبرز ما تميزت به شخصية موسى بن نصير القيادية .

٣ – وضوح الهدف :

لم يكن باستطاعة القائد موسى بن نصير تحقيق ما أنجزه ، والوصول إلى ما يريده لولا وضوح الهدف له ، وكان هذا الوضوح يظهر في أموره العامة والخاصة على حد سواء .

لقد كان هدف موسى في حربه تكوين قواعد قوية ومأمونة ، وبناء مجتمع جديد ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره ، فكان طموحه يتركز عند (هدفه الواضح) . ولم تكن قيادته لجيوش المسلمين سوى وسيلة هذا الهدف ، وعلى هذا فعندما اجتمع بطارق ، وعاتبه على توغله بالمسلمين قال له : (يا طارق ، إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك

بأكثر من أن يمنحك الأندلس ، فاستبحه هنيئاً) . وبرهن بقوله أنه معرض (عن الهدف المادي بجعل الولاية هدفاً) وأن هدفه يتجاوز ذلك إلى آفاق بعيدة هي تحقيق المزيد من الفتوح . ولم يكن طارق دون قائده في هذا المجال ، ولكن إغراءات النصر ، قد خلقت ثغرة لسوء التفاهم حول (**الهدف**) .

وفي افريقية ، أصيبت البلاد بقحط شديد . فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين ، وخرج بهم إلى الصحراء للصلاة . وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ، ثم صلى وخطب الناس ، ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ فقال : (هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى) ولم يكن ذلك تمرداً من موسى على سلطة الوليد ، فقد استشاره عندما قرر اقتحام الأندلس ، وأعلمه عن مراحل الفتح ، ورجع إليه في كل أموره ، ولكن لكل عمل هدفه ووسيلته ، إنه تمييز واضح للمقولة الشائعة (ما لله هو لله وما للقيصر هو للقيصر) ففي الفتح ، وفي إدارة الحرب والسلم ، يبقى الهدف محدداً بالواجب والمسؤولية وهو لهذا يرتبط بالسلطة الدنيوية المتمثلة بأمير المؤمنين — وهو الوليد هنا — أما في الأمور كلها ، فالأمر لله من قبل ومن بعد ، وهو عندما يتوجه إلى الله ، لا يريد أن يتصل (هدفه) بأي هدف آخر ، حتى لو كان له علاقة بالتقرب من أمير المؤمنين ..

إذا ما تم الإنتقال بعد ذلك إلى (وضوح الهدف) عند

القائد موسى بن نصير ، على المستوى العملياتي ، فسيظهر بأن إجراءات موسى جميعها كانت تلتقي عند الهدف **فهو يقود القوات وفقاً للسياسة الاستراتيجية التي حددها (والتي تعرف حالياً باستراتيجية الخرشوفة أو بقعة الزيت) .** وهو يزج بالقوى والإمكانات بما يتناسب مع الهدف المرحلي ، وهو يضع مخططات العمليات المقبلة ، واضعاً في حسابه الاحتمالات جميعها . (وكان موسى منذ وجه طارقاً لوجهه ، قد أخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة) وهو عندما يحمل على مغادرة الأندلس يقنع مغيثاً الرومي بالانتظار – حتى يكمل فتح جيليقية – وذلك حتى يكمل هدفه في فتح الأندلس (وتأمين القاعدة القوية) ، ثم هو يعين إبنه عبد العزيز لولاية الأندلس ويترك معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ، وزيراً له ومعيناً ، وترك معه من العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد ، وسد الثغور وجهاد العدو .

وفي هذه الحالات جميعها ، ومع وضوح الهدف ، يتخذ موسى من الإجراءات ما هو ضروري لتجاوز المرحلة الراهنة فهو يقسم الهدف الاستراتيجي إلى أهداف عملياتية ، ويحدد لها مراحلها الزمنية ، ويخصص لها من القوى والوسائط ما هو ضروري لنجاحها . وبذلك يظهر (وضوح الهدف) عند القائد موسى بن نصير بصورته الكاملة ، ويكاد التلاحم في خيوط الصورة المتكاملة يخفي الجزئيات التكتيكية والعملياتية ، مما يبرهن على تلك الكفاءة العالية في التحكم بالمواقف جميعها ،

ولم يكن ذلك بالأمر المستطاع – يقيناً – لولا تلك الحالة الذهنية المشرقة التي تحدد الهدف العام ، والأهداف الفرعية ، ثم تعزلها عن جميع المعوقات التي قد تعترض طرائق تنفيذها .

لقد كان وضوح الهدف عند القائد موسى ، مرتبط بصورة وثيقة بمجموعة من معطيات الاستراتيجية العليا ومبادىء الحرب . فتوافرت له بذلك ومع وضوح هذا الهدف ، الطرائق التي يمكن اتباعها للوصول إلى الهدف وكذلك القوى والوسائط الضرورية لإنجاز الهدف ، وتحقيق التوافق في إشراك هذه العوامل ضمن حدود إطاري (**زمان تحقيق الهدف ومكانه**) . وزج الإمكانات وفقاً لذلك . وان هذا التكامل هو ما يميز أعمال ابن نصير بصورة خاصة .

نتحدث هنا عن وضوح الهدف ، ولكن ما هو هدف حرب المسلمين ؟ إن لكل حرب هدفها ، وقد يكون هدفاً عادلاً أو غير عادل ، فاذا كان الإصلاح الإجتماعي والتقدم هما هدف الحرب كانت (حرباً عادلة) أما إذا كان هدف الحرب هو مجرد احتلال للأرض أو مجرد نهب للموارد فانها تكون (حرباً غير عادلة) . ولا حاجة هنا للبرهان على عدالة حروب العرب المسلمين ، فقد خرجوا من جزيرتهم بأعداد قليلة ، كانوا في اليرموك ٢٤ أو ٣٠ ألفاً ، وكانوا في القادسية في عدد مماثل تقريباً ، ولم يزد عددهم في فتح مصر على ١٢ ألف وعند فتح الأندلس كان عددهم مماثلاً . فما كان أغناهم

عن فتح الدنيا لو كان هدفهم كسب الأرض ، ولكان لهم في بساتين الشام والعراق ما يكفيهم مؤونة احتمال كره القتال . فاذا ما أمكن تجاوز هذه النقطة للوصول مباشرة إلى النتائج ، ففي منارات الحضارة التي رفعها المسلمون في كل شبر من أرض الدنيا جميع البراهين على (عدالة حروب المسلمين — وعدالة أهدافها) ومن عدالة هذه الحروب ، كان قادة العرب يدركون (أهدافهم بوضوح) لا لبس فيه ولا غموض .

٤ — الحرص على العنصر العربي — دعامة الإسلام :

استنزفت الفتوحات قوة العرب المسلمين ، وقد وقعت أعباء الفتوحات الأولى . (الشام ، العراق ، مصر) على عاتق العرب وحدهم ، وكان عدد العرب المسلمين أصلاً أقل من مستوى الفتوحات ، واستخدم قادتهم مجموعة من العوامل للتعويض عن هذا النقص العددي (ولم تكن كفاءة القادة ، والتطبيق الصحيح لأسس الاستراتيجية العليا ومبادىء فن الحرب بالإضافة إلى قدرة التحمل الكبرى والشجاعة الفائقة للمجاهدين في سبيل الله ، سوى بعض وسائل التعويض عن النقص العددي) . ولقد لجأ هؤلاء القادة إلى زج المسلمين من غير العرب في أعمال الفتوح وأشركوهم في حمل أعباء الرسالة — رسالة الإسلام — مع احتفاظهم بالقيادة والتوجيه ولكن موسى بن نصير نهج أسلوباً جديداً ، فقد كان مسرح

الأعمال القتالية كبير الإتساع ، سواء في افريقية أو في الأندلس ، وكان طموح موسى وتطلعاته تتجاوز مسارح الأعمال القتالية – على كبرها واتساعها . فلجأ إلى تشكيل الجيوش الكاملة من سكان البلاد – الأفارقة – وتسليم قيادتها إلى أبناء البلاد أنفسهم ، ولم يكن طارق بن زياد بحسب أكثر الروايات وثوقاً إلا قائد افريقي بربري ، وبذلك حمل الأفارقة أعباء نشر الإسلام في افريقية ذاتها وفي الأندلس بعد ذلك بقسط متعادل مع العرب سواء بسواء . ولكن موسى حمل العرب الواجب الأساسي وهو نشر الدين الإسلامي ، فقد ترك عند طارق بن زياد عندما كلفه بحصار سبتة (خلقاً يسيراً من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الإسلام) (وأسلم المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، فكان يأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين ، حتى لم يبق في افريقية من ينازعه) (وعندما وجه موسى مولاه طارق بن زياد ، وعقد له الراية لفتح الأندلس ، بعثه في سبعة من آلاف من المسلمين جُلهم البربر والموالي ، وليس فيهم عرب إلا قليل) .

لقد كان الحرص على العنصر العربي عند موسى محدداً بقيود (الهدف) فقط ، وكان (وضوح الهدف) عند موسى كافياً للتمييز بين متطلبات المواقف . فعندما كان الموقف يتطلب زج كل القوى لتحقيق الهدف . لم يكن موسى ليتردد في زج القوى بكاملها ، سواء في البر أو البحر ، فقد عمل في

(غزوة الأشراف) على توجيه كل القوى لركوب البحر ، كما قاد جميع القوى المتوافرة (في جيش من ١٨ ألف مقاتل) لدعم طارق في الأندلس عندما استنجده بقوله : (الغوث — الغوث — فقد تداعت علينا أمم الأرض) .

وكان الهدف (وهو نشر الإسلام) يوفر له وسائل مشروعة عمل موسى بن نصير على استخدامها كلها . (فقد ساعد أولاد غيطشه) الذين دعموا الفتح وساعدوه ، من أجل استعادة أملاك أبيهم (وكانت ثلاثة آلاف قرية).وعندما أسلم فرتون ، أعفيت (شية) ومنطقتها من التخميس . وبرهن موسى على أن نشر الإسلام (هو الهدف) وليست المغانم . وكانت هذه الوسائل تضمن لموسى من ناحية أخرى هدفه (في الحرص على العنصر العربي) حتى يستطيع الاضطلاع بواجبه وهو حمل الرسالة إلى أرجاء الدنيا ، ونشرها وتعريف الناس بها .

إذا تجاوزنا ذلك ، فان حرص موسى بن نصير على العنصر العربي يظهر واضحاً في المجال العملياتي ، فعندما طلب يوليان إلى موسى غزو الأندلس ، وعلى الرغم من تجاوب موسى مع هذا الطلب ، لم يقبل إرسال المسلمين قبل أن يتأكد من صدق يوليان وصحة عزيمته ، فكلفه الاتصال بأنصاره في الأندلس مع القيام بغارة استطلاعية . ولم يكن ذلك إلا حرصاً على العنصر العربي .

وكانت تعليمات موسى إلى طارق بعدم التوغل ، وكذلك انتقاده لسلوك عقبة في التوغل (والتغرير بمن معه) هي من قبيل الحرص على العنصر العربي . وهنا تبرز أكثر من نقطة تستحق الوقوف عندها :

١ ـ كان المسلمون في افريقية على عهد حديث بالإسلام . فكان حرص موسى شديداً على عدم زجهم في أي معركة قد تنتهي بالفشل الأمر الذي يضعف الإسلام في قلوب المؤتلفة قلوبهم ، مما قد يشكل انعكاسات سيئة على إدارة العرب المسلمين .

٢ ـ كان أسلوب موسى في تكليف البربر المسلمين بالفتح وتعيين القادة منهم تجربة رائدة أخذت أبعاداً غير محدودة ، فقد ساعدت على تحقيق التلاحم بين المسلمين مَن العرب والبربر ، وخلقت المناخ الملائم للتفاهم المتبادل فتشكل النسيج القوي وتوثقت العرى الخالدة . ولعل هذا الإنجاز وحده يزيد في أهميته على كل ما حققه موسى من منجزات عظيمة حفظها له التاريخ .

تظهر هنا القوة المحرضة التي حددت لموسى بن نصير سلوكه العملياتي ـ في مجال التطبيق ، لقد كان الإيمان العميق هو القوة المحرضة ، فايمان موسى هو الذي حمله على اتخاذه كل ما من شأنه (المحافظة على العنصر العربي ـ دعامة الإسلام) وكانت هذه القوة ذاتها هي التي دفعته إلى (المحافظة على

المسلمين من غير العرب – التزاماً بقوله تعالى – حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) . وكان هذا الحرص المقيد (بحدود الهدف الواضح) هو الذي ساعد موسى على تحقيق منجزاته . وعلى هذا ، **لم يكن حرص موسى حرصاً تعصبياً جاهلياً ، وإنما كان حرصاً واعياً يعتمد في سداه ولحمته على الايمان والعمل .**

٥ – استراتيجية الحرب التشتيتية :

كانت استراتيجية الحرب التشتيتية في طليعة الاستراتيجيات التي أتقن قادة العرب المسلمون استخدامها في فتوحاتهم . فكانت قواتهم تعمل على محاور مستقلة في وقت واحد أو في توقيتات مختلفة ، وتتجمع هذه القوات عندما تجابه قوات متفوقة لتخوض معركتها الحاسمة . ثم لا تلبث أن تعاود سيرتها في العمل على محاور منفصلة ومتباعدة ، مما كان يعيق العدو عن زج قواته واستخدام قواه ووسائطه بصورة صحيحة ، وتم تطبيق ذلك في الشام ، وفي العراق وفي فارس (إيران) وفي مصر ، وحتى في عمليات الثغور . فكان من الطبيعي أن يستخدم موسى هذه الاستراتيجية ، ويعمل على تجريبها فيتم له بذلك إغناء المعرفة العسكرية بتجارب جديدة ، مع تطوير فن الحرب عند العرب المسلمين .

فعندما وصل إلى افريقية وجه ثلاث مجموعات قتالية ،

مجموعة بقيادة ابنه عبد الله ومجموعة بقيادة ابنه عبد العزيز ومجموعة بقيادة ابنه مروان . وعندما وصل إلى سجلماسة ودرعة في المغرب الأقصى وجه قوة من خمسة آلاف رجل بقيادة ابنه مروان إلى السوس الأقصى ، كما سير قائدهُ زرعة إلى مصمودة في أطلس العليا وعندما وصل إلى طنجة (بث السرايا) التي وصلت حتى السوس الأدنى .

يظهر ذلك سبب الحاح موسى على اتباع محور جديد للتقدم بعد عبوره المضيق ووصوله إلى الجزيرة الخضراء (ما كنت لأسلك طريق طارق ولا أقفو أثره) وقد أدرك أصحاب يوليان ما يريده القائد موسى عندما أجابوه (نحن نسلك بك طريقاً هو أشرف من طريقه ، وندلك على مدائن هي أعظم خطراً وأعظم خطباً ، وأوسع غنماً من مدائنه ، يفتحها الله عليك إن شاء الله تعالى) . وبعد أن ناقش موسى الموقف اختار محور قرقونة – ماردة – طلبيرة (أي إلى يسار محوْر تقدم طارق . كما وجه ابنه عبد العزيز ، بعد القضاء على ثورة إشبيليا للعمل على محور مواز لمحوره وإلى اليسار منه أيضاً (محور باجه – شنترين – قلمرية – استرقة موازياً لساحل البرتغال على المحيط الأطلسي) وهكذا حدد موسى للعمل ثلاثة محاور أساسية متوازية . وعلاوة على ذلك ، فقد كان يتم إرسال السرايا للاستيلاء على مواقع مختلفة ومتباعدة (ويمكن اعتبار هذه العمليات المستقلة كلها في إطار من الحرب التشتيتية) . وكذلك عمل موسى عندما قرر تطهير شمال

الأندلس من بقايا القوط ، فقد كلف طارقاً بقيادة مجموعة قتالية تتحرك على محور (سرقسطة ــ تطيلة ــ قلهرة ــ أماية ــ حتى ليون ، في حين قاد موسى بنفسه المجموعة القتالية الثانية على محور مواز لمحور طارق وإلى الجنوب منه (انطلاقاً من سرقسطة حتى بلد الوليد . لينعطف منها شمالاً فيصل إلى أوبيدو والمناطق النائية من إقليم جيليقية على المحيط الأطلسي .

كان هدف الحرب التشتيتية في حروب موسى بن نصير متغايراً ، فقد كان في افريقية من أجل حرمان القبائل من تبادل الدعم ، وعدم تنسيق التعاون فيما بينها . وضرب بقايا قوات البيزنطيين (الروم) وهم بمعزل عن كل دعم من قبائل الأفارقة . أما في المرحلة الأولى من عمليات الأندلس فقد كان هدف موسى هو تضليل رودريك ، وعدم السماح له باتخاذ إجراءات مناسبة . ثم أصبح الهدف من جديد ، وبعد زوال القيادة العسكرية الواحدة ، حرمان فلول المقاومة من التجمع وتنسيق التعاون بعضها مع بعض . ولقد كان هذا الأسلوب في استراتيجية الحرب التشتيتية يتوافق تماماً مع طبيعة الأرض الأندلسية ، حيث المدن الكثيرة . والمواقع الحصينة المتباعدة ، والأراضي الوعرة ، والمقاومات المتناثرة ، والتي كانت تتطلب معالجة منفصلة لكل موقف من المواقف .

لقد كان لاستراتيجية الحرب التشتيتية إنعكاساتها النفسية في إحباط إرادة القتال ، سواء عند تنفيذ العمليات في المغرب ،

أو في الأندلس ، (فقد أسلم أهل المغرب الأقصى — في عام ٨٥ هـ=٧٠٤ م وحوّلوا المساجد التي كان بناها المشركون الى القبلة وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات ، فاستأمن البربر إليه وأطاعوه ، وكان البربر قد ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة) وفي الأندلس (انطلق موسى وطارق — وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب الصلح) .

إن ما سبق ذكره يدحض المقولة التي طالما كانت موضع جدل ونقاش حول رغبة موسى في اختيار طريق غير طريق طارق بتأثير الحسد أو الحقد ، فقد عمل موسى على استخدام هذه الاستراتيجية في افريقية ، واستخدمها عند فتح بقية الأندلس ، واستخدمها أيضاً عند العمل في مناطق الشمال الصعبة ، ولم يكن للحسد أو الحقد أو الإنفعالات الإنسانية الأخرى دور في التخطيط لهذه العمليات وفي تنفيذها . وإنما كانت هناك استراتيجية عليا تحدد طرائق العمل المختلفة وتوجه الجهد نحو الهدف .

طبقت استراتيجية الحرب التشتيتية للمرة الأولى — بصورتها الواضحة عند فتح الشام (عام ١٣ هـ — ٦٣٤ م) ثم تكرر تطبيق هذه الاستراتيجية على مسارح العمليات المختلفة وجاء موسى بن نصير ، فأعاد تطبيقها بأسلوب متطور (في عام ٩٣ هـ ، ٧١٢ م) وبين التاريخين فاصل زمني في حدود الثمانين عاماً . **وإذا لم يكن القائد موسى بن نصير هو واضع هذه الاستراتيجية أو مبدعها ، إلا أنه باعثها في إطار متقدم**

وأسلوب متطور. وليست العبقرية دائماً في ابداع ما هوجديد، وانما كثيراً ماتكون في التوفيق بين الوسائل المتوافرة والهدف المطلوب . وهذا هو بدقة ما فعله القائد موسى بن نصير .

٦ — استراتجية الهجمات الوقائية :

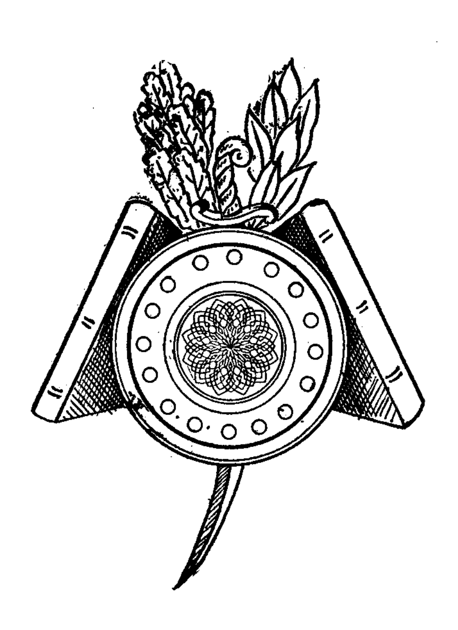
كانت أفريقية دائمة الانتقاض ، دائمة التمرد والثورة ، حتى جاءها موسى بن نصير فكانت أعماله الهجومية ذات هدف وقائي لحماية حدود المسلمين وأقاليمهم ، وفي هذا الإطار أيضاً يمكن اعتبار فتوح الأندلس بمثابة هجوم وقائي لحماية افريقية . ولكن الهجمات الوقائية الحقيقية هي تلك التي قادها موسى ضد قوات الروم البيزنطيين في البحر . فقد نظم موسى قواعد المسلمين البحرية في تونس ، وأخذ في تنظيم الهجمات ضد صقلية وسردينية وجزر الباليئار وشكل من مجموعة هذه الجزائر ستاراً وقائياً لحماية القوات البرية العاملة في مسرح عمليات افريقية . وكان القضاء على القوة البيزنطية في غرب المتوسط والهجمات الوقائية ضد القواعد البحرية للروم هي المرحلة التمهيدية لفتوح الأندلس .

وهنا كانت استراتيجية الهجمات الوقائية في مخططات موسى بن نصير ، إكمالاً لتلك التي بدأ العمل بها منذ دفع معاوية بن أبي سفيان بقوات المسلمين لارتياد البحر وانتزاعه من قبضة البيزنطيين الذين تعاظم نفوذهم في غربي المتوسط

على حساب انحسار ظلهم من شرقيه حتى جاء موسى بن نصير فعمل على تطبيق الاستراتيجية ذاتها ، وأصبح البحر الأبيض المتوسط بكامله بحراً عربياً (حتى أطلق عليه اسم بحر الشام) وأصبح البحر عازلاً وقائياً للشواطىء الإسلامية بعد أن كان مصدر تهديد لها .

ان عملية (فتح الأندلس) في حد ذاتها ، تتضمن نوعاً من استراتيجية الهجمات الوقائية ، فقد بقيت (سبتة) في المغرب ممتنعة طويلاً على المسلمين بسبب ارتباطها بالأندلس ، وكان وجود هذه القاعدة يهدد مجنبات المسلمين في المغرب(افريقية). وعندما خضعت سبتة ، بقيت الأندلس القريبة من المغرب مصدر تهديد قوي . فكان من الطبيعي بالنسبة لقائد كموسى بن نصير أن يضع في اعتباره ضرورة (كبح جماح الجزيرة) وإخضاعها في جملة الجزائر التي أخضعها العرب المسلمون وشكلوا منها ستاراً وقائياً يحمي استراتيجيتهم القارية . وعلى ضوء هذه الحقيقة تتوضح بصورة كافية مطامح موسى بن نصير في فتح (رومية) والاستمرار حتى الوصول إلى (القسطنطينية) من غربها . وهي التي استنزفت قوة المسلمين في الشام وهددت أمن مجتمعهم الجديد ، وأثارت الاضطراب فيه على امتداد ثمانين عاماً ضد فتح الشام وحتى فتح الأندلس . وتلتقي (استراتيجية وضوح الهدف) مع (استراتيجية الهجمات الوقائية) على صعيد واحد من حيث التكامل . فنشر دين

الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي هما هدف الحرب . والهجمات الوقائية هي لتأمين إقامة المجتمع الإسلامي بعيداً عن كل خطر وبمعزل عن كل تهديد . وفي إطار هذا التكامل تظهر الصورة الرائعة لفن الحرب عند العرب المسلمين .



ب ـ في مبادىء الحرب

١ ــ المباغتــة :

كان موسى منذ تولى قيادته في افريقية وحتى غادر الأندلس عائداً إلى دمشق ، وهو يقود الجيوش من موقع إلى موقع ، ويبعث السرايا للإغارة على مواقع العدو ، فكانت قواته تباغت الأعداء باستمرار ، سواء بظهورها في أماكن لم يكن من المتوقع ظهورها فيها ، أو بتدخلها في وقت لم يكن يتوقعه العدو . (أراد موسى مهاجمة صنهاجة وهي بغرة وغفلة .. فأغار عليها ، ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون) وقد حفظت صفحات التاريخ أعمال القائد موسى بن نصير . وتكررت في هذه الصفحات كلمات ، بعث السرايا ومهاجمة العدو بغفلة ، وأخذه على حين غرة ، ويثبت ذلك كله اعتماد موسى على المباغتة في جملة المبادىء التي كان يطبقها في حروبه . وتتطلب المباغتة توافر المعلومات

الكافية عن الهدف ولهذا فقد كان موسى يعتمد كثيراً على سيل المعلومات التي تؤمنها عناصر الجاسوسية (العيون) وكذلك عناصر الإستطلاع ، ومعلومات الأنصار ، وكان كثيراً ما يلجأ إلى الحيلة لتحقيق المباغتة (فعندما امتنعت عليه قرمونَة ، بعث بأصحاب يوليان ، فدخلوا إليها كأنهم فُلاَّل ، وطوقهم موسى بخيله ليلاً ، ففتحوا لهم الباب) . وقد نتج عن ذلك ، أن بوغتت الحامية ، وأمكن القضاء على المقاومة والاستيلاء على المدينة بسرعة ، (وهي التي كان من الصعب اقتحامها بحصار أو قتال) .

لقد استخدم قادة العرب في فتوحاتهم المباغتة على نطاق واسع وفي كثير من معاركهم الحاسمة ، لكن طبيعة مسرح العمليات ، سواء في افريقية أو في الأندلس جعلت من الصعب تحقيق المباغتة بالقوات الكبيرة . وهذا ما يفسر لجوء موسى إلى الإكثار من استخدام السرايا – المجموعات القتالية الصغيرة – ومحاولة الإفادة من كل فرصة ممكنة لتوجيه مثل هذه المجموعات لتحقيق عامل المباغتة وللقضاء على المقاومات المعادية أو الحصون الممتنعة . وقد استخدم هذا الأسلوب منذ كان في افريقية ، فقد امتنعت عليه (مجانة) فتجاوزها . ثم نظم مجموعة قتالية (بقيادة بشر بن فلان) وقامت هذه المجموعة بمباغتة مجانة الواقعة على بعد خمسة أيــام من القيروان (على الحدود الجزائرية التونسية حالياً) وأمكن الاستيلاء على قلاعها الحصينة .

إن استخدام مبدأ المباغتة في إطار (العمليات الصغرى) بصورة خاصة ، يشكل تطوراً متقدماً يلقي بظلاله إلى ما بعد إثني عشر قرناً ونيف ، حيث يتم التركيز في عصر الحروب الحديثة على استخدام الوحدات الصغرى (المنقولة جواً أو بحراً أو أرضاً) للإفادة من عامل المباغتة في الإغارات على المراكز الصناعية أو العسكرية أو المواقع القتالية . وإذا فرضت طبيعة مسارح العمليات على القائد موسى بن نصير مواقف معينة ، فإن حلول هذه المواقف هو لا ريب من نتاج العقل المبدع والفكر العسكري المتطور لرجل الحرب الذي كان يحمل على كاهله ثمانين عاماً ونيف ، ويحمل معها أعباء أمة وتطلعات أجيال .

٢ ـ أمن العمل :

« ما هزمت لي راية قط ، ولا فضّ لي جمع ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين إلى أن شارفت الثمانين

أربعون عاماً وموسى بن نصير يقود قوات المسلمين ، في البر والبحر ، ما نكب المسلمون خلالها ولا انتكست لهم راية . وإذا تم استعراض العمليات القتالية في السنين العشر الأخيرة منذ ولاية موسى على افريقية وحتى مغادرته الأندلس » فسيظهر أن موسى كان خلال هذه الفترة في شغل شاغل ، فهو ينظم القواعد ، ويطلق القوات إلى أهدافها المختلفة ، ويعمل على إعادة

التنظيم في كل مرحلة . ويحشد القوى والوسائط . فكانت مناطق العمليات حركة دائمة لا تهدأ ، ونشاطاً متصلاً لا يتوقف ، ولم يكن العمل بمثل هذه الفاعلية ممكناً لولا توافر مبدأ (أمن العمل .) . وقد تكون أسس الاستراتيجية العليا التي طبقها موسى هي التي ضمنت له تحقيق هذا المبدأ بكل أبعاده . وقد يكون التزامه أيضاً بمبادىء الحرب قد مهد له السبيل لذلك ، ولكن يبقى التركيز على تحقيق هذا المبدأ هو السبب في عدم نكبة المسلمين طوال فترة قيادته .

لقد كانت القوات البيزنطية البحرية هي مصدر تهديد (أمن العمل) في غرب المتوسط فشكل موسى ستارة وقائية ضدها . وكان التمرد بين القبائل هو المصدر الثاني لتهديد (أمن العمل) فيشغل القبائل بنفسها عند تطبيقه لاستراتيجية (الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة) ، ثم وجه الجهود نحو أهداف كبرى ، عندما ألقى على عاتق المسلمين في أفريقية أعباء الجهاد (بحيث لم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى البحر إلى الأندلس ، وأجاز معه كثيراً من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك ، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب ، وأذعن البربر لحكمه ، وتناسوا الردة) . وفي الأندلس ، طبق القائد موسى الأسس الاستراتيجية ومبادىء الحرب ذاتها . فركز جهده للقضاء على رودريك ، ودمر بقايا المقاومة . ثم انطلق لبناء المجتمع الجديد ، وبذلك ضمن لقواته (أمن العمل) . لكن ذلك كله لم يكن كافياً . وكان لزاماً تطبيق مبادىء الحيطة ، فنظم شبكة من الاستعلامات

غطت أفريقية كلها . واستعان بالأنصار في فتح الأندلس بعد أن ضمن ولاءهم وتأييدهم ومساندتهم . وبذلك ضمن لقواته عدم التعرض لمباغتة العدو . وإحباط كل تمرد في بدايته . ولم تكن الغزوات الاستطلاعية التي وجهها موسى إلى الأندلس قبل (العبور الكبير) سوى إجراء وقائي هدفه ضمان (أمن العمل) . واذا كان الخليفة الوليد قد طالب موسى باجراء هذا الاستطلاع فإن موسى ذاته أيضاً كان قد سبق ذلك عندما طلب يوليان القيام بغزوة استطلاعية ، والاتصال بالأنصار وتنظيمهم حتى قبل أن يطلب إليه الخليفة ذلك .

لقد أفاد القائد موسى بن نصير دون ريب من تجارب المسلمين السابقة ، فكان مقتل عقبة بن نافع واستشهاده على أيدي البربر والروم . ثم استشهاد القائد زهير بن قيس البلوي بعد ذلك . من الدروس التي كان ثمنها غالياً ، وعندما جاء موسى على أثرهم ، آلى على نفسه أن لا ينكب المسلمون تحت قيادته ، فحرص على تطبيق كل ما هو ضروري من الإجراءات حتى لا تقع انتكاسة جديدة . وربما قيل إن عهد الاستقرار الذي جاء به عبد الملك بن مروان ثم الوليد من بعده قد ساعد على توجيه الجهد نحو عاصمة البيزنطيين ذاتها (القسطنطينية) وإشغال الروم بأنفسهم عوضاً عن انصرافهم لتهديد (أمن عمل المسلمين) على مسارح العمليات المختلفة . ودليل ذلك هو توسع أعمال الفتوح في المشرق الإسلامي في تواقت واحد مع تطور عمليات موسى بن نصير . ولكن متابعة مسيرة الأعمال

القتالية تبرهن على أن الصراع لم يكن سهلاً أو هيناً. وهنا يمكن الوصول إلى النتيجة التالية: «**لقد كان استقرار الدولة الإسلامية عاملاً مساعداً في توفير (أمن العمل) لقوات المسلمين فوق ميادين القتال، ولكن ذلك لا يلغي دور القادة الذين قادوا الأعمال القتالية** – كمحمد بن القاسم الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وموسى بن نصير – ولا ينتقص من كفاءتهم، وإن مجرد إفادتهم من الموقف العام، لضمان أمن العمل على مسارح عملياتهم هو مأثرة ستبقى مرتبطة أبداً بجهدهم وامكاناتهم القيادية».

لقد كان من عادة قادة المسلمين أو خلفائهم، إرسال الولاة والقادة إلى مسارح العمليات البعيدة، وترك إدارة الحرب للقادة أنفسهم، وكان من أول واجبات هؤلاء القادة تحقيق مبدأ (أمن العمل). ولقد أصيبت أعمال الفتوح بكثير من الانتكاسات في الشرق والغرب على حد سواء. وعلى هذا، فاذا ما ضمنت الدولة (أمن العمل) على المستوى الاستراتيجي، فقد كان (أمن العمل) على المستوى العملياتي هو من مسؤولية قائد مسرح العمليات. وإن نجاح موسى في قيادة قواته على امتداد مسارح واسعة وفوق آلاف الكيلومترات من الأرض وطوال عشر سنوات إن هو إلا برهان قاطع على نجاح القائد موسى بن نصير في ضمان (أمن العمل) لقواته مما ساعدها على الوصول إلى ما وصلت اليه، وإلى إنجاز ما أنجزته.

هنا ، لا بد مرة أخرى من التنويه إلى أن حرص القائد موسى بن نصير على ضمان (أمن العمل) لقوات المسلمين هو في جملة الأسباب التي أثارت غضبه عندما خالفه مولاه طارق بن زياد ، فأوغل في الأندلس ، وترك قاعدته في الجنوب بحيث أصبحت قوات المسلمين معرضة لتهديد حقيقي ، كان من المحتمل له تحويل الانتصارات الأولى إلى انتكاسة مدمرة لو لم يسرع موسى إلى معالجتها ، وحشد القوات ، وقيادة العمليات بنفسه .

٣ ـ الحركية :

كانت حروب المسلمين كلها نوع من حرب الحركة ، وهي حرب تتميز عن حروب الحركة التي قام بها البرابرة منذ القرن الخامس ق . م (الهون ـ الآلامان ـ الفاندال ـ القوط) وهي تختلف أيضاً عن حروب الحركة التي قام بها التتار في القرن الثاني عشر للميلاد (المغول بقيادة جنكيزخان وتيمورلنك) . ولعل من أبرز خصائص حرب الحركة عند المسلمين هي قلة عدد العرب المسلمين بالنسبة لحجم الفتوحات وأبعادها الجغرافية ، وكذلك اعتمادها على تغيير البنية الاجتماعية للبلاد التي يتم فتحها ، واستخدام أساليب فن الحرب المتقدمة في إطار متكامل تحدد أبعاده قبل كل شيء العقيدة الإسلامية . وتنفذ الأعمال القتالية لهذه الحروب من قبل المجاهدين في سبيل

الله ، الذين لديهم القدرة على احتمال كل أنواع الصعوبات وتقديم كل أنواع التضحيات للوصول إلى (هدف الحرب) وهو إقامة المجتمع الإسلامي العالمي . وهكذا فان المعطيات الانسانية الشاملة هي الحافز الذي كان يوجه فعاليات حرب الحركة عند المسلمين ، ويعطيها الميزات عن كل ما سبقها وما تبعها من حروب الحركة المتباينة . وهي من هذه الناحية تتشابه مع طبيعة حروب الحركة في العصر الحديث حيث أصبح الحافز (الايديولوجي) هو العامل الأساسي في كل صراع محدود أو غير محدود بأسلحة تقليدية أو بأسلحة التدمير الشامل . ولكن رغم الطابع المشترك لحروب الحركة عند المسلمين فهناك خصائص مميزة لحرب الحركة التي قادها موسى بن نصير . وهي تتشابه في طبيعتها وخصائصها مع حرب الحركة عند عقبة ابن نافع وتزيد عليها بما تم تنفيذه على مسرح عمليات الأندلس . وهي ميزات يمكن إنجازها بما يلي :

١ ــ اعتمادها على القوة المتحركة المتمثلة بقوة الفرسان ، بحيث كان دور المشاة فيها تابعاً ومكملاً وليس أساسياً . وكان اعتماد حرب الحركة هو الذي ساعد المسلمين على تجاوز المسافات البعيدة في زمن قياسي نسبياً . فقد استطاع موسى تنفيذ عملياته في افريقية خلال سنتين وتجاوز آلاف الأميال خلال هذه المسيرة الشاقة .. والعمل بعد ذلك فوق آلاف الأميال لفتح الأندلس خلال ثلاثة أعوام .

٢ ـ العمل على عدد من المحاور المتوازية ، أو المتباعدة ، بحسب الموقف ، وتأمين الاتصال بين الأرتال المتحركة على محاور متباعدة بطريقة مثيرة للاعجاب ، وتنسيق التعاون بين القوات بحيث يتم الالتقاء بسرعة لنقل الجهد من محور إلى محور عند الضرورة .

٣ ـ المطاردة الحاسمة ، بعد كل معركة كبرى ، وازالة المقاومات بصورة جذرية ، في إطار من التصميم العنيد على تدمير القوات المسلحة للخصم .

٤ ـ تحديد هدف الحرب بالقضاء على القوات المقاتلة وبشكل لا يتعارض فيه تحقيق هذا الهدف مع هدف اقامة سلم دائم .

وتتشابه حرب الحركة في الأندلس تحت قيادة موسى بن نصير مع تلك التي قادها هانيبال وأخيه هاسدروبال ضد روما (عام ٢٠٦ ق . م . في معركة متورس) من حيث تجاوز مسافات بعيدة خلال مدة قصيرة، ولكن هناك ثمة فوارق أيضاً فقد عمل هانيبال وهاسدروبال على اتباع الطريق الساحلي الموازي للبحر الأبيض المتوسط من أجل مهاجمة ايطاليا من الشمال . في حين تم تقدم المسلمين على عدد من المحاور المتوازية . كما كان تقدم القرطاجيين (هانيبال وأخيه) في بلاد صديقة ، إذ كانت اسبانيا تابعة لقرطاجنة وحليفة لها في حروبها ضد روما . في حين كان تقدم المسلمين في بلاد معادية

مما فرض على حرب الحركة قيوداً صارمة للمحافظة (على أمن العمل) . وعلى هذا لم تكن حرب الحركة عند موسى بن نصير مجرد مسيرة عادية لقوات ضخمة ، وإنما كانت حرب قوات قليلة أمام قوات متفوقة ، وفي أقاليم يتطلب العمل فيها اتخاذ جميع تدابير الأمن والحيطة ، وهذا ما يعطي حرب الحركة عند موسى بن نصير ظلالاً متقدمة تصل في أبعادها إلى حروب القرن العشرين .

كان القائد موسى بن نصير وهو يقود (حرب الحركة) ويحدد لها أسسها ومعطياتها. يدرك تناقض أسس هذه الحرب مع حرب الثبات ، أو حرب الموانع الدفاعية ، وقد أوضح ذلك بنفسه ، عندما جلس في يوم من الأيام إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، فسأله سليمان « ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال : التوكل والدعاء إلى الله يا أمير المؤمنين . قال سليمان : فهل كنت تمتنع في الحصون والخنادق ، أو كنت تخندق حولك ؟ قال موسى : كل هذا لم أفعله قال : فما كنت تفعل ؟ . وأجاب موسى : كنت أنزل السهل ، وأستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله ، وأرغب إليه في النصر » .

لقد كان تنفيذ حرب الحركة في مثل هذه الظروف . ومع وجود مثل تلك القيود التي كانت تفرض وجودها على مخططات موسى بن نصير ، يتطلب الأخذ بمعطيات استراتيجية شاملة

تكون (حرب الحركة) قسماً تنفيذياً لها ، وليست مستقلة عنها ، وعلى هذا فان إدراك أهمية هذه الحرب وخصائصها يتطلب قبل كل شيء المعرفة الشاملة لتلك الاستراتيجية ولمبادىء الحرب التي تعهدت بتنفيذها . وعندئذ تظهر الصورة المتكاملة لحروب موسى بن نصير ولدور حرب الحركة فيها . وليست القضية بعد ذلك قضية إبراز لأمجاد خالدة ولمبادىء ثابتة برهنت على صحتها ، بقدر ما هي عملية إيجاد الصلة بين فن الحرب قديمه وحديثه ، وما كان للمسلمين من دور ريادي فيه ، وهو دور لم يكن ليثبت وجوده بمعزل عن العقيدة الإسلامية ، ودون وجود طبقة قيادية احتلت قمم التاريخ في البـــذل والعطــــاء .

٤ ــ المبادأة واستخدام القوة الهجومية .

يرتبط مبدأ (المبادأة) واستخدام القوة الهجومية في عقيدة المسلمين القتالية ، ارتباطاً وثيقاً بحرب الحركة ، ذلك أنه كان من المستحيل على قادة المسلمين إدارة حروبهم ، دون تمسكهم دائماً بالمبادأة ، وحرمان العدو من حرية العمل . وكان فقدهم للمبادأة ، مع ما هم عليه من (الضعف العددي) إنما كان يعني انتكاسة خطيرة ، وهو الأمر الذي تكرر حدوثه عند الفتوحات في المشرق الإسلامي وفي مغربه ، وكانت التجارب المريرة التي دفع المسلمون ثمنها سيولاً من دمائهم وتلالاً من

شهدائهم ، قد عززت لديهم المضمون العميق للربط الوثيق بين متطلبات حرب الحركة وبين الامساك بالمبادأة وعدم التفريط بها . وعندما تولى موسى بن نصير قيادته ، ركز جهده حتّى لا يفقد المبادأة ولو مرة واحدة ، وكانت قيادته للمسلمين وتوجيهه للسرايا ، وحرصه على تحقيق المباغتة وتشكيل الستارة الوقائية من جزائر البحر الأبيض المتوسط إنما تنتهي كلها عند نهاية واحدة هي حرمان العدو من (حرية العمل) ، والامساك بالمبادأة باستمرار .

لقد اضطر موسى بن نصير في بعض المواقف إلى استخدام البعض من قواته لأعمال الحصار والتطويق (كما فعل في طنجة — وفي قرمونة من الأندلس) ولكنه حتى في هذه الحالات لم يتخل عن المبادأة ، فقد كان من واجب قواته ازعاج الخصم باستمرار ، والتضييق عليهم ، والنكاية بهم ، وحرمانهم بالتالي من (حرية العمل العسكري فتحقق لهم بذلك المحافظة على المبادأة ، وعلى هذا لم تكن أعمال الحصار مجرد عمليات دفاعية جامدة ، وإنما كانت عمليات هجوم نشطة امتزج فيها العمل الدفاعي بالنشاط الهجومي .

استطاع القائد موسى بن نصير ، عن طريق إمساكه بالمبادأة ، واستخدامه للقوة الهجومية أن يخلق حركة قوية تواكب فتوحاته في كل الأقاليم ، فكأنما كانت ضرباته المتلاحقة وهجماته المتصلة بركاناً زلزل الأرض ، وقد أدرك موسى هذا

الواقع بكل أبعاده عندما كتب إلى الوليد بن عبد الملك يقول له (إنها ليست الفتوح ولكنها الحشر) ، وربما كان يقصد بالحشر ما يحدث من الذهول في ذلك اليوم العظيم (حيث تذهل كل مرضعة عما أرضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) . وربما كان هذا الذهول الناتج عن اقتران عاملي المباغتة والامساك بالمبادأة هو الذي ساعد موسى على تحقيق النجاح في أعماله القتالية كلها . وقد يكون من الصعب إبراز أهمية عامل من العوامل أو مبدأ من مبادىء الحرب لتحديد أهميته في تحقيق النصر ، ذلك لأن هذه العوامل تتداخل بصورة دقيقة ويتشابك بعضها مع بعض بصورة محكمة . فتؤلف بمجموعها ذلك النسيج الرائع (لفن الحرب) . ولكن رغم ذلك فان بالامكان القول دون مبالغة في أن إمساك موسى بن نصير بعامل المبادأة وحرمان العدو من حرية العمل ، هو الذي ضمن للمجاهدين في سبيل الله (حرية العمل الكاملة) وضمن لهم الشروط لاستخدام قواتهم الهجومية على أفضل وجه .

٥ ـ الاقتصاد بالقوى :

يهدف مبدأ الاقتصاد بالقوى إلى تحقيق التوازن بين الهدف وبين القوى والوسائط المطلوبة لبلوغ هذا الهدف ، وإن كل إخلال بهذا التوازن من شأنه تعريض العمل العسكري للفشل أو الانتكاسة ، فاستخدام قوات كبيرة ضد هدف

صغير ، يشابه صيد عصفور بمدفع أو صاروخ . واستخدام قوات صغيرة ضد هدف كبير هو تقديم لقمة هينة يبتلعها الخصم ، وبالتالي استنزاف للقوى دون تحقيق أي نتيجة . وترتبط عملية التوازن بالتقدير الصحيح للموقف من جميع جوانبه .

لقد ظهر حرص القائد موسى بن نصير على تحقيق مبدأ الاقتصاد بالقوى في كل أعماله القتالية ، فهو لم يوجه في بداية عملياته على مسرح افريقية سوى مجموعات قتالية صغيرة ، وعندما قرر الوصول إلى المغربين الأوسط والأقصى سار بمعظم جيشه ، وعندما تطلب الموقف حصار طنجة ، ترك حامية كافية بقيادة مولاه طارق بن زياد وعاد بجيشه إلى القيروان . وفي مجال العمليات البحرية ، ونظراً لخطورة الموقف ، فقد زج بكل القوى المتوافرة لديه ، كما أنه لم يزج بالقوى كلها على مسرح عمليات الأندلس وإنما كان زجها على مراحل متتابعة ، فحقق بذلك هدفين ، أولهما تحقيق مبدأ الاقتصاد بالقوى . وثانيهما الاحتفاظ بقوات احتياطية تساعده على تطوير المعركة من جهة ، وعلى مجابهة ما هو غير متوقع من جهة أخرى . كما أنه استطاع بفضل هذا التوازن إعطاء الأعمال القتالية قوة متجددة تساعدها على البقاء والاستمرار والتطور .

بدأ موسى بن نصير عملياته في افريقية بقوات لا تتناسب واتساع مسرح العمليات ، وعندما استطاع حشد قوات كبيرة

· أخذت ميادين القتال أبعاداً جغرافية جديدة تزيد في اتساع آفاقها على ما أمكن حشده من القوى والوسائط ، وعندما كادت عمليـات فتوح الأندلس تقترب من نهاياتهـا ، رسم موسى بن نصير آفاقاً جديدة لعملياته المقبلة ، فكانت القوات المتوافرة – على كبر حجمها – أقل من الأعباء الملقاة على عاتقها . فكان على موسى باستمرار إجراء التوازن بين متطلبات أهدافه ، وبين حجم القوى المتوافرة ، وكان العامل الحاسم في الموقف هو الحرص على تنفيذ (مبدأ الاقتصاد بالقوى) بكل دقة وبكامل أبعاده . وهذا ما فعله موسى بن نصير في عملياته كلها . ولعل أبرز ما حققه في هذا المجال هو احتفاظه الدائم بقوات احتياطية ، ونظراً لما تتطلبه هذه العمليات من إعادة تنظيم مستمر ، وحشد قوات جديدة ، فلا غرابة أن تكون عملياته (كالحشر) .

وهنا يظهر السؤال الحاسم : ترى هل كان باستطاعة موسى تحقيق ما أنجزه لولا وجود عقيدة دينية تهز أعماق النفس ، فتدفع المؤمنين إلى حمل الرسالة وتحمّل كره القتال ؟ لا ريب أن الإسلام الذي توغل في القلوب . وملك المشاعر هو الذي ساعد على تحقيق المنجزات كلها . ولكن ذلك لا ينتقص من دور القادة الذين حملوا أعباء هذه الرسالة إلى أنحاء الدنيا ، وكان ذلك الإيمان هو الذي ألهم القادة اتباع السبيل الصحيح والسلوك القويم لانتقاء ما هو ضروري من المبادىء وتطبيقها حسب المواقف .

٦ ـ المحافظة على الهدف :

يمر كل عمل بمراحل ثلاثة : التخطيط ، التحضير ، والتنفيذ ، ففي مرحلة التخطيط ، تطرح الأفكار الأساسية للعمل ويحدد الهدف ، ويتم العمل بعد ذلك لتوفير الوسائل الضرورية ، ثم يأتي التنفيذ تتويجاً للجهود كلها . وتأتي بعد ذلك المراحل التالية التي تكمل الهدف من العمل العسكري أو غير العسكري . وكثيراً ما تقف الصعوبات وتعترض العوائق كل مرحلة من هذه المراحل ، فبعض هذه الصعوبات مما هو متوقع وأغلبها غير متوقع . وفي حالات الحرب المعقدة قد تزيد الصعوبات غير المتوقعة إلى درجة تهدد المشروع بكامله وتعرضه للفشل . وهنا تظهر كفاءة القادة في مجابهة ما هو غير متوقع ، وما هو من طبيعة الحرب ، ولقد كان موسى بن نصير النموذج الأعلى للقائد الميداني الذي تتوافر له القدرة على مجابهة أكثر المواقف تعقيداً ، دون أن تحرفه هذه المواقف عن هدفه أو تبعده عنه أو تضعف من تصميمه على بلوغ هدفه . وان متابعة مسيرة عملياته على امتداد عشر سنوات تثبت هذه الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة . فقد تولى أمر افريقية في أعقاب انتكاسات مريرة . فوضع مخططه لازالة المقاومات تدريجياً (الأدنى فالأقصى) ونفذ هذه الاستراتيجية بدقة محكمة . وانتقل بعدها إلى عمليات التوغل الكبرى ، مدعماً في كل خطوة إنجازاته السابقة ، وجاء الانتصار النهائي في تحقيق

الاستقرار على امتداد افريقية بكاملها (الشمال الأفريقي) تتويجاً لتلك الانتصارات الجزئية المتتابعة . بدأت بعد ذلك عملية فتوح الأندلس . فخطط لها . وأعد التحضيرات اللازمة وزج القوى الضرورية ، ثم تابع خلال ذلك الإعداد لتطوير العمليات ، حتى إذا جابهه موقف غير متوقع (وهو توغل طارق حتى طليطلة) أسرع بزج القوى والوسائط التي جهزها لهذه الغاية ، وانتقل إلى إدارة الحرب بنفسه حتى أكمل عملية الفتح . وعندما باغته طلب أمير المؤمنين بالعودة إلى الشام ، بذل جهده حتى أقنع مغيثاً الرومي بالبقاء معه وعدم التعجل قبل الوصول إلى هدفه النهائي . وهو ازالة كل مقاومة لبقايا القوط وفتح شمال غربي الأندلس وشمالها . (اقليم جيليقية ومنطقة الباسك — البشكنس) .

وتبرهن هذه الحادثة وحدها على تصميم موسى (ومحافظته على الهدف) حتى النهاية . والأمر بعد ذلك ليس بمثل هذه البساطة ، فمن المعروف في ظروف القيادة الموحدة والمسؤولة ، أن هناك قادة يجيدون أعمال التخطيط وفق معطيات ثابتة وواضحة ، فيضعون من المخططات أجملها ومن الأفكار أروعها ثم إذا بهم عند التحضير يتخلون عن مخططاتهم بسبب كثرة الصعوبات التي تجابههم ، ثم يظهر نوع ثان لا يجيد التخطيط ، ولكنه يجيز الإعداد والتحضير وفق مخططات مدروسة وأفكار ثابتة ولكن سرعان ما يتخلى هؤلاء عن إبداعهم عند أول تحديات تجابههم عندما يبدأ التنفيذ ، وهناك

بعدهم قادة يجيدون التنفيذ بشكل مثالي ولكنهم لو أقحموا في مجال التخطيط أو الإعداد لكان فشلهم ذريعاً .

لقد عرف تاريخ الحروب نماذج قليلة لقادة توافرت لهم الامكانات الكبرى لممارسة واجباتهم القيادية في مراحل القتال المختلفة (بداية من التحضير السياسي والعسكري للحرب وحتى الوصول إلى الهدف) ولقد كان هؤلاء القادة هم القمم البارزة في التحولات التاريخية والحضارية . وقد كان موسى بن نصير واحداً من هذه الأعداد القليلة . وإن ما تجدر الإشارة اليه هنا ، هو العلاقة المتبادلة بين وضوح الهدف ، وبين المحافظة على الهدف . فالطرفان يشكلان معادلة متكافئة ، أو علاقة جدلية ديالكتية ، يتأثر كل واحد منهما بالآخر سلباً وإيجابياً، فالوضوح في الهدف يحفز التصميم للمحافظة على الهدف ، والمحافظة على الهدف تحتاج بدورها للوضوح في رؤية هذا الهدف وتحديد أبعاده ، وتحليل معطياته . ويصبح بالامكان بعد ذلك ، وعلى ضوء هذا التحليل ، معرفة صحة الاحتمالات التي طرحها موسى ابن نصير في تحديد هدفه من الحرب بعد أن أنهى احتلال الأندلس (أجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ، ويتجاوز إلى الشام دروبه ودروب الأندلس . ويخوض إليه ما بينهما حتى يلحق بدار الخلافة) وكذلك قوله عندما طلب إليه التابعة بالتوقف عن متابعة التوغل « أما والله لو انقادوا إلي لقدتهم إلى رومية ، ثم يفتحها الله على يديَّ ، إن شاء الله » . لقد كان هذا الهدف كبيراً دون ريب ولكنه كان يستند إلى أرضية واقعية ، فمن الناحية العملياتية لقد سبق للقادة القرطاجيين

أن هاجموا روما بالاستدارة عبر الأندلس ، وعلاوة على ذلك فقد توافرت لموسى الإمكانات التي لم تتوافر لسواه . فقد استطاع أن يوحد افريقية في إطار هدف واحد . وهو نشر الإسلام ، واستطاع حشد القوى كلها لتحقيق هذا الهدف ، وكان باستطاعته حشد مزيد من القوى بالاستفادة من القاعدة البشرية والقاعدة الاقتصادية بعد إعادة تنظيم الأندلس ، وهكذا كانت محافظته على الهدف ترتبط بتقديره الصحيح للموقف وبناء القوة اللازمة للوصول إلى الهدف . وهنا قد يكون من الضروري إبراز أهمية هدف موسى بن نصير من الوصول إلى القسطنطينية ومهاجمتها عن طريق الغرب ، فقد بقيت الدولة البيزنطية هي القوة الوحيدة التي حافظت على عدائها واستمرت في حربها ضد المسلمين ، وقد فشلت الحملات البحرية والبرية كلها في إخضاع القسطنطينية ، رغم الحصار الذي ضرب حولها لمدة سنة في عهد معاوية ، ثم في عهد عبد الملك ، ومن بعده عاصمة البيزنطيين على الغرب ، فكان تحديد هذا الهدف من قبل موسى بن نصير ، علاوة على واقعيته ، يحمل مضامين استراتيجية أصيلة في حسم الصراع مرة واحدة بالهجوم عن طريق الغرب وهذا في حدٍّ ذاته أيضاً برهان على التكافؤ بين وضوح الهدف وبين المحافظة على الهدف مما تميز به القائد موسى بن نصير عن سواه من القادة .



الفصل الثالث

قيادة موسى بن نصير

آ — موسى بن نصير وفن القيادة

١ — الاهتمام بالشؤون الإدارية (اللوجستيك) .

٢ — التحريض على الجهاد .

٣ — العنف في القضاء على أعداء الإسلام .

٤ — الشجاعة في مواجهة الخوف .

٥ — القرارات الصحيحة .

٦ — حماية المرؤوسين .

ب — موسى بن نصير وقوات المسلمين .

١ — الاستعداد الدائم للقتال .

٢ — الروح المعنوية العالية .

٣ — الكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب

٤ — موسى بن نصير ، وما يعرف حالياً بالحرب الشعبية .

٥ — موسى وحرية العمل .

٦ — الانضباط والطاعة .



آ ـ موسى بن نصير وفن القيادة

« والله لو أردت الامتناع في الأندلس لما نالوا من أطرافي طرفاً ـ يقصد سليمان بن عبد الملك ـ ولكني آثرت الله ورسوله ، ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة »

(موسى بن نصير في حديثه مع يزيد بن المهلب)
نفح الطيب ١/٢٨٣

الإنسان هو « لعبة القدر » وهو أيضاً صانع الحدث العظيم ، ما في ذلك ريب ، أو هو وسيلة صنع الحدث بحسب المعطيات (الميثولوجية) وفقاً لما يرسمه القدر ، وعلى الرغم من تناقض وجهات النظر حول دور الإنسان في صنع الحدث التاريخي والتطور الاجتماعي ، فان أحداث التاريخ قديمها وحديثها ، قد برهنت على العلاقة الوثيقة بين دور الفرد ودور المجتمع ، وبالنسبة لنا نحن المسلمين ، وعلى الرغم من تسليمنا بأن الإسلام هو وحده الذي بعث هذه الأمة (لتكون خير أمة أخرجت للناس) إلا أنه لا يمكن إنكار دور الإنسان في حمل رسالة الإسلام إلى الدنيا الواسعة ، وتعريف الناس ، كل الناس ،

بما جاء به الإسلام من مضامين اجتماعية وانسانية فيها خير الإنسان والمجتمع على حد سواء ، وليس باستطاعة إنسان أن يعرف ما كان عليه حال الإسلام لولا وجود الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومجابهته للردة وتدميرها ، وكذلك لولا وجود إنسان مثل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وما قام به من إدارة للدولة في أصعب مراحل قيام الدولة الإسلامية . وهنا يبرز دور القادة ، أبو عبيدة وخالد وسعد ، وابن العاص ومعاوية ، مروراً بقادة النسق الثاني القعقاع ومعاذ وطارق ونهاية بموسى وقتيبة .

ولو أمكن تحليل المنجزات الإسلامية لأمكن وضعها في إطار معادلة ، فقد جاء الإسلام ليخلق تيار التطور ، وقد عمل تيار التطور على خلق الأحداث ، ثم جاء دور القادة في جميع المجالات (العلمية ، والفنية ، والعسكرية) ليعملوا على تطوير هذه الأحداث أو إعاقتها . فتكون المعادلة **(تيار تطور + حدث + قائد)** . وعلى هذا الأساس فقد يكون من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل، بحث ما قام به موسى بن نصير بمعزل عن تلك التيارات القوية التي جاء بها الإسلام ، كما أنه ليس بالامكان أيضاً عزل الأحداث عن دور القادة ، فقد كان لاستشهاد عقبة وزهير بن قيس دورهما في تحديد الأسس الاستراتيجية التي اتبعها موسى وعمل على تطبيقها ، كما أنه ليس باستطاعته عزل هذه الأحداث عن نشاط البيزنطيين البحري الذي اتضح للمسلمين خطورته منذ بداية الفتح وحتى وصول موسى إلى افريقية . ونظراً لما قام به موسى بن نصير من أعمال ،

وما حققه من منجزات ، فانه من الضروري التعرض لبعض ملامح فن القيادة عند هذا القائد العربي المسلم ، وما تركه من أثر متبادل في العلاقات بينه وبين مرؤوسيه من جهة وعلى مسيرة الأعمال القتالية من جهة أخرى ، وما كان لذلك كله من دور في الأحداث التاريخية التي قدر له أن يصنعها .

١ ــ الاهتمام بالشؤون الادارية (اللوجستيك) :

لم تكن جيوش المسلمين عامة تعاني من الصعوبات الكبرى في مشكلات الشؤون الإدارية ، ذلك لأنها في الأصل جيوش صغيرة الحجم بالنسبة لاتساع مسارح العمليات ، ولهذا فانها لم تكن مثقلة بالذيل الإداري ، أو مرتبطة بمخازن التموين ومستودعات الامداد . وهذا أحد العوامل الرئيسية التي كانت تضمن لها (حرية العمل ــ والمرونة في التحرك) مما كان يتوافق ومتطلبات حرب الحركة التي كانت تطبق استراتيجيتها . وكانت قوات المسلمين تعتاش من البلاد التي تفتحها (الأمر الذي لم يطبق في الجيوش الغربية حتى أيام نابوليون بونابرت في بداية القرن الثامن عشر حيث لجأ إلى تطبيق هذه الاستراتيجية ذاتها لتأمين حرية العمل لجيوشه) .

ولكن رغم ذلك فقد كانت طبيعة مسارح العمليات تفرض قيوداً إدارية صعبة على المسرح الأفريقي . فحتمية التحرك على محور رئيسي واحد هو المحور الساحلي ، وصعوبة تأمين المواد التموينية لقوات كبيرة عندما تتحرك على هذا المحور ، كان في جملة العوامل التي كان لها أثرها في تنفيــذ الأعمال

القتالية . وهنا تظهر كفاءة القائد موسى بن نصير في التوفيق بين مخططاته الاستراتيجية وبين أهدافه العملياتية ، إذ لم يكن توجيه المجموعات القتالية الصغرى لمعالجة الأهداف المنعزلة والتعامل مع المقاومات المنفردة من الناحية الادارية (إلا توافقاً مع طبيعة مسرح العمليات وما توفره من إمكانات تموينية . ولكن كفاءة موسى بن نصير الادارية تظهر بصورة خاصة في مجالين :

١ – تأمين وسائط النقل الضرورية لنقل القوات . وكمية كافية من الخيول لعمليات المرحلة الأولى من عملية فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، ثم تأمين وسائط النقل البحري الكافية لنقل الموجة التالية التي قادها بنفسه ، ولا ريب أن نقل ١٨ ألف مقاتل للانزال البحري مع عدد مناسب من الخيول قد تطلب جهداً إدارياً كبيراً .

٢ – تأمين المتطلبات الإدارية لإقامة ميناء تونس وتطويره وامداده بالفنيين والأيدي العاملة الاختصاصية لصنع المراكب وتوفير المواد الأولية لدار الصناعة .

وتظهر كفاءة موسى الإدارية في اقامة مستودعات احتياطية للامداد ، (فعندما وصل أسطول مصر الذي وجهه والي مصر عبد العزيز بن مروان لفتح سردانيه بقيادة عطاء بن أبي نافع ، أرسى هذا الأسطول في سوسة . فأخرج اليه موسى بن نصير ما يحتاجه من الأرزاق والمواد التموينية – بما فيها الأسلحة والوسائط الضرورية ، ونصح قائد الأسطول بالاقامة حتى يصبح بالامكان ركوب البحر ، حتى يطيب البحر – نظراً

لقدوم فصل الشتاء) . ويبرهن هذا الحادث الذي حفظه التاريخ أن موسى قد أقام من المستودعات ما يكفي لمجابهة حالة الطوارىء . فقد وصل عطاء بن أبي نافع بصورة مباغتة فوجد في مستودعات موسى كل ما يحتاجه من (مواد تموينية) وعلاوة على ذلك فعندما طلب موسى إلى عطاء البقاء في سوسة وعدم الابحار ، كان يعرف أن قوات هذا الأسطول ستكون في حالة عطالة عن العمل ، ونظراً لتوقف هذه القوات في منطقة عمليات موسى ، فقد كان هو المسؤول عن توفير متطلباتها التموينية . ولا ريب أنه كان يعرف وهو يطلب إليها عدم ركوب البحر أن لديه من المخزون الاحتياطي ما يكفي لامدادها طوال فترة توقفها ، ويبرهن ذلك بداهة على أن موسى كان يضع ما يكفي من الاحتمالات ، وأنه يتخذ من التدابير الادارية ما يكفي لمجابهة هذه الاحتمالات .

هنا وفي مجال التأمين الاداري للقوات لا بد من ذكر اجراء موسى بن نصير لسك النقود العربية ، فعلى الرغم من أن هذا الاجراء يعود في الأصل إلى عبد الملك بن مروان أول من عرّب الدواوين وضرب الدينار العربي ، وأن موسى بن نصير قد حصل على التفويض لضرب النقد العربي في افريقية — كولاية مستقلة — فان إسراع موسى بن نصير لضرب دينار عربي في الأندلس إنما يحمل مضامين إدارية عميقة . ذلك أن التعايش بين البلاد يتطلب بالضرورة التعامل بوسيلة التبادل . فعمل موسى يتضمن تسهيل عملية (التأمين الإداري للقوات) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان لضرب الدينار العربي في الأندلس دلالة عميقة برهنت على تصميم المسلمين بقيادة موسى بن نصير على تعميق جذور الفتح الإسلامي . وإقامة المجتمع الجديد في الأندلس على أسس جديدة في كل مجال ، فكان اهتمام موسى بن نصير بالشؤون الإدارية شاملاً . عالج مشكلة قوات المسلمين في الأندلس من ناحية ، وشكل دعامة بناء المجتمع الجديد من جهة أخرى . فكان اهتمام موسى من هذه الناحية يلتقي بالهدف الاستراتيجي الذي عملت له قوات المسلمين .

لم يحفظ لنا التاريخ بعد ذلك مزيداً من الشواهد حول اهتمام القائد العربي موسى بن نصير بالشؤون الإدارية ، وفي الواقع فان هذه النقطة هي القاسم المشترك بين المؤرخين والكتاب قديمهم وحديثهم ، إذ يتركز اهتمام هؤلاء على الأشكال النبيلة للحرب (كالاستراتيجية وفن العمليات والأسلحة وقيادة القوات ، في حين يكاد الاهتمام بشؤون الأفراد والشؤون الفنية والادارية أن يكون معدوماً تماماً ، ومع أن هذه النقاط قد أخذت في العصر الحديث باستقطاب مزيد من الاهتمام ، ومهما كان عليه الموقف فان ما سبق ذكره من شواهد هو أمرٌ كافٍ لاكمال بقية صورة الشؤون الادارية في قيادة موسى بن نصير ، إذ أنه من غير المعقول ظهور هذه الملامح دون أن تكون لها خلفيات متكاملة تبرهن على اهتمام موسى بن نصير كاملاً ، ومما يبرهن على ذلك عدم ظهور أي عائق إداري

أمام تحرك القوات وانتقالها . فلو كان هناك ثمة قصور لظهر بشكل واضح ، ولكان له أثره على مسيرة العمليات مما كان استرعى انتباه الكتاب والمؤرخين ، ولا ريب أن قيادة موسى الناجحة باستمرار هي تأكيد قاطع على شمول الشؤون الادارية في مجموعة المعطيات التي كان يركز موسى جهده على الاهتمام بها .

٢ ـ التحريض على الجهاد :

لم يكن المجاهدون في سبيل الله . وقد انطلقوا من جزيرتهم البعيدة ، وتحملوا مشاق السير الطويل وكره القتال في حاجة لما يستثير هممهم ويوقظ عواطفهم لخوض الحرب بقدر ما كانوا في حاجة لمعرفة **الهدف المرحلي لكل معركة** والحل المتبع لمجابهة كل موقف . وقد تميز أسلوب القائد العربي موسى بن نصير في التحريض على الجهاد بتغطية هذه النقطة ، والتركيز عليها دون سواها ، يظهر ذلك من خطاب موسى الذي ألقاه عندما وصل افريقية وتسلم قيادة العمليات فيها (وهو النص المثبت في صدر الكتاب) . وعلى هذا فقد كان موسى في تحريضه على القتال يخاطب العقول أكثر مما يخاطب العواطف ، ويستثير الاهتمامات أكثر مما يحفز الانفعالات . ولم يكن سبب ذلك قصوراً في بلاغة الإنسان العربي موسى بن نصير ، فقد اشتهر موسى بالبلاغة وقوة الحجة وجمال الأسلوب ، (وهو

ما سيتم إيضاحه عند التعرض لميزات موسى الشخصية) . وإنما كان السبب هو الرغبة في أن يكون التحريض على الجهاد عميق الأثر بعيد المدى ، يتوافق مع معطيات الواقع ، ومع مسيرة العمليات المتوقعة .

ويتأكد ذلك من نص الخطاب الذي ألقاه موسى بن نصير « إنما أنا رجل كأحدكم ، فمن رأى مني حسنة ، فليحمد الله ، وليحض على مثلها الخ ... » (أنظر الفصل الأول ــ موسى بن نصير) وفي هذا الخطاب القصير ، الذي لا يتجاوز أسطراً قليلة غطى موسى النقاط التالية :

١ ــ حرض المجاهدين في سبيل الله على الالتزام بتعاليم الإسلام ، وتبادل المشورة وتقديم النصح ، وتقبل هذا النصح ــ للاشتراك في الواجب والمسؤولية .

٢ ــ بلاغ المجاهدين بأمر أمير المؤمنين في مضاعفة أعطيات الجنود ثلاثاً ــ لتغطية الشؤون الادارية . وقد جاء توقيت هذا الابلاغ مع مرحلة الاستعداد للعمليات الشاقة والبعيدة ، بحيث يطمئن المجاهدون إلى أن أمورهم الشخصية ستكون مؤمنة . فيتركز بذلك جهدهم على تحقيق الواجب المطلوب .

٣ ــ الطلب إلى المجاهدين في رفع متطلباتهم وشكاواهم ، والوعد بايجاد الحلول الفورية لها مهما كانت صعبة (وله عندنا قضاؤها على ما عزَّ وهان ، مع المواساة إن شاء الله).

وكان تحريض موسى بن نصير للمجاهدين في سبيل الله يتخذ مظهراً خاصاً من خلال المثل الذي يضربه لهم ، في تحمل المشاق ، وفي تقدم الصفوف ، وفي إنكار الذات ، وفي الاستعداد الدائم للتضحية ، وفي الشجاعة في مواجهة الخوف ، وبعد ذلك في الروح المعنوية العالية التي كانت تفيض على كل ما حولها عزماً وتصميماً وإرادة على القتال .

وبذلك يكون تحريض موسى على الجهاد ، في القول ، وفي العمل . ومن خلال المثل الأعلى الذي يقدمه هو تحريض للعقل ، أكثر منه تحريض للعاطفة التي سرعان ما تزول إن لم تكن لها أرضية صلبة تستند إليها .

٣ ــ العنف في القضاء على أعداء الإسلام :

كانت حروب المسلمين كلها حروباً هادفة من أجل اقامة مجتمع جديد يدين بالإسلام ، فكانت الأعمال القتالية تلتزم في حدود عدم التعارض مع اقامة سلم مقبل ، ولهذا كانت ظاهرة العنف فيها محدودة جداً ، وفي نطاق متطلبات العمليات وضمن أبعاد ميدان القتال..

ولكن ذلك لم يكن ليتناقض مع اتخاذ أقسى أنواع العنف للقضاء على من يثبتون عداءهم للإسلام والمسلمين ويبرهنون على تصميمهم للاستمرار في الكيد للمسلمين والنكاية بهم . وقد لجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسلوب تدمير أعداء الإسلام

بعد أن عرف استحالة إصلاحهم . ولجأ الخلفاء الراشدون وقادة قوات المسلمين إلى اتباع هذا الأسلوب ذاته . وفي مواقف موسى بن نصـــير تجلت ظـــاهرة العنف عندما اقتحمت قوات المسلمين مدينة سجومة ، التي برهنت على استمرار مناصبتها العداء لقوات المسلمين ، فكلف موسى أبناء عقبة بن نافع بأخذ الثأر لأبيهم وقتل ملوكها . فانطلق أبناء عقبة حتى قتلوا ستمائة رجل من كبار أهل سجومة . وأدرك موسى أن حقد أبناء عقبة لمقتل أبيهم ورغبتهم للأخذ بثأره قد تتجاوز حدود (هدف الحرب) فأمرهم بقوله : « كفوا » فكفوا . فقال عياض بن عقبة « أما والله لو تركني موسى ما أمسكت عنهم وفيهم عين تطرف » .

ولقد اضطر موسى بعد ذلك إلى استخدام العنف لتدمير قوات القوط التي تجمعت من لبلة وباجة واعتصمت في اشبيليا ، وأعلنت خروجها على اتفاقها مع المسلمين ونقضها لميثاق المعاهدة معهم ، وكذلك فعل بالنسبة لطليطلة التي أعلنت تمردها بعد أن غادرها طارق للقاء موسى ، حيث عمل المسلمون على (قتل أهلها) . ولقد كان لهذا السلوك حجته وذريعته ، فقوات المسلمين قليلة بالنسبة لمسارح العمليات ، ولم يكن بالمستطاع ترك حامية كافية في كل موقع وكل مدينة ، وكان لا بد من إعطاء المعاهدات درجة من الثقة والقوة حتى يمكن اعتمادها كبديل لوجود الحاميات الإسلامية ، ويظهر أن موسى لم يكن ليلجأ إلى هذا الأسلوب إلا مرغماً ، فعندما بلغه عزم قساوسة

سرقسطة على مغادرة المدينة أرسل اليهم من يفاوضهم للبقاء في مدينتهم وعدم مغادرتها ، مع اعطائهم الضمانات الضرورية ، وبقي أسقف سرقسطة وقساوستها وقبلوا بحكم المسلمين وحمايتهم لهم . وإذا كان سلوك القائد موسى بن نصير قد تميز في بعض المواقف بلجوئه إلى العنف للقضاء على أعداء الإسلام ، فان سلوكه مع أسقف سرقسطة يتميز بالتزامه بهدف الحرب وعدم تناقض العنف مع اقامة سلم دائم . ويفسر السلوكان المتناقضان ظاهرياً وضوح الرؤيا عند موسى بن نصير ، وقدرته على معالجة كل موقف ضمن إطار مفهوم الهدف الواحد الذي كانت حروب المسلمين كلها تتجه لتحقيقه وهو (الحرب من أجل السلم) أو (الحرب العادلة) بكل معطياتها وأبعادها .

٤ ـ الشجاعة في مواجهة الخوف :

الشجاعة نقيض الخوف والعلاقة بينهما جدلية (ديالكتيكية) بحيث لا يتضح مضمون أولهما دون ربطه ربطاً وثيقاً بالطرف الآخر . ووجود هذه العواطف هو من طبيعة النفس الإنسانية . ويتمايز الرجال بالقدرة على مجابهة مخاوفهم ، وكان لموسى بن نصير من إيمانه العميق معيناً قوياً يدعم مواقفه في مجابهة مخاوفه أمام التحديات التي تنخلع لها قلوب أقوى الرجال وأثبتهم جناناً . ويظهر ذلك من إجابة موسى لسليمان عندما سأله « ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال :

التوكل والدعاء إلى الله يا أمير المؤمنين » . وتظهر شجاعة موسى في مواجهة الخوف من خلال ما حفظه التاريخ لمآثره ، ومنها تلك الرواية : قال الراوي : « كنت فيمن غزا الأندلس مع موسى ، فحاصرنا حصناً من حصونها عظيماً ، بضعاً وعشرين ليلة ، ثم لم نقدر عليه . فلما طال ذلك عليه ، نادى فينا : أن أصبحوا على تعبئة ! وظننا أنه قد بلغه مادة من العدو ، وقد دنت منا ، وأنه يريد التحول عنهم ، فأصبحنا على تعبئة ، فقام فحمد الله ، ثم قال : أيها الناس إني متقدم أمام الصفوف . فإذا رأيتموني قد كبَّرت وحملت ، فكبروا واحملوا . فقال الناس : سبحان الله ! أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه ؟! يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل اليه ؟ فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ، ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة ، فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره : فاستعددنا ، ثم إن موسى كبّر ، وكبر الناس ، وحمل وحمل الناس » .

ففي هذا الموقف خاف كل الناس حتى اتهموا موسى بأنه فقد عقله ، ولكن موسى لم يستشعر الخوف ، وأوحى للناس بالثقة ، وعزز المشاعر في نفوسهم لاحباط عاطفة الخوف ، ثم انه لم يحرضهم على القتال باثارة عاطفتهم ، وانما بالبرهان العقلي المحسوس والقيادة الحازمة بقوله (إني متقدم أمام الصفوف ، ثم هو بعد ذلك يستمد الشجاعة له وللمقاتلين من أجل إحباط عاطفة الخوف باللجوء إلى الله تعالى (حيث رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة) .

قد تكون الشجاعة في مواجهة الخوف في القتال أسهل بكثير من تلك الشجاعة المطلوب توافرها في القائد عند مجابهة المخاوف الناتجة عن الصدام مع السلطات المسؤولة . وهو الأمر الذي يتعرض له القادة عموماً والذي يطلق عليه عادة اسم (الشجاعة الأدبية أو الخلقية) فالشجاعة في مجابهة مخاوف الميدان قد يمكن اكتسابها بالممارسة والمعاناة وقد يمكن تنميتها بالتجربة والخبرة ، ولكن ذلك النوع المطلوب توافره في القادة هو من طبيعة الإنسان ، وهذا سبب نجاح قليل من القادة بالتحلي بهذه الصفة وفشل كثير من الرجال في مقاومة مخاوفة (بطش السلطة) أو حتى التغلب على مغرياتها . وقد تميز موسى بن نصير ، بصورة خاصة ، بهذا النوع من الشجاعة الخلقية الأصيلة التي حملته على مجابهة أكثر المواقف تعقيداً ، وأخطرها في التأثير على مستقبله .

كتب عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر إلى موسى بن نصير أثناء ولايته على افريقية رسالة يتهدده فيها ويتوعده فكان رد موسى (أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما وصفت فيه من إركاني إلى أبويك وعمك ، ولعمري إني كنت لذلك أهلاً ، ولو خبرت مني ما خبرا ، لما صغّرت مني ما عظّما ، ولا جهلت من أمرنا ما علما ، فكيف أتاه الله لك . فأما انتقاصك لهما فهما لك ، وأنت منهما ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً ، وكفاك جزاء العاق . فأما ما نلت من عرضي ، فلذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك .

وأما تهديدك إياي بأنك واضع مني ما رفعا ، فليس ذلك بيدك ولا إليك ، فارعُد وابرق لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عملك عبد العزيز ، فلعمري إني مما نسبتني إليه من الكهانة لبعيد ، وإني من غيرها من العلم لقريب ، فعلى رسلك ، فكأنك قد أظلك البدر الطالع والسيف القاطع والشهاب الساطع ، فقد تم لها وتمت له . ثم بعث إليك الأعرابي الجلف الجافي ، فلم نشعر به حتى يحل بعقوتك « الشعر الذي يولد عليه كل مولود » فيسلبك سلطانك ، فلا يعود إليك ، ولا تعود إليه ، فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم ، وتوقن أينا النادم السادم — الحزين — والسلام) . وإذا ما أمكن تجاوز ما تضمنه النص من بلاغة ، تخرج عن إطار الدراسة ، وتخالف مضمونها ، والتي تبرهن على علو مقام موسى بن نصير في مجال الأدب العربي ، وتمكنه من اللغة وأساليبها ، فان هذا النص هو وثيقة رائعة لشجاعة موسى الأدبية ، وهناك أكثر من حادثة تثبت هذه الحقيقة وتؤكدها . فعندما وصل موسى إلى فلسطين في طريق عودته من الأندلس إلى دمشق ، كان الوليد مريضاً على فراش الموت ، فبعث سليمان إلى موسى من يلقاه في الطريق حتى يتريث في مسيره وألا يعجل ، وحتى يكون شرف فتح الأندلس له في بداية توليه الخلافة . فكان جواب موسى على سليمان « خنت والله وغدرت وما وفيت ، والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ! ولكني أسير بمسيري فإن وافيته حياً لم أتخلف عنه ، وإن عجلت منيته فأمره إلى الله » فرجع الرسول

إلى سليمان فأعلمه . وقدم موسى على الوليد وهو حي ، يحمل إليه من الغنائم الكثيرة التي ما رئي ولا سمع بمثلها، وسلم له الأخماس والمغانم والتحف والذخائر ، فلم يمكث الوليد إلا يسيراً بعد قدوم موسى . وتوفي واستخلف سليمان ، فحقد عليه وبعث إليه فأتى به ليعنفه بقوله : « اجترأت،وأمري خالفت ، والله لأقللن عددك ، ولأفرقن جمعك ، ولأبددن مالك ، ولأضعن منك ما كان يرفعه غيري ممن كنت تمنيه أماني الغرور ، وتخدعه من آل أبي سفيان وآل مروان » فكان جواب موسى « والله يا أمير المؤمنين ما تعتل علي بذنب ، سوى أنني وفيت للخلفاء قبلك ، وحافظت على من ولي النعمة عندي فيه ، فأما ما ذكر أمير المؤمنين ، من أنه يقل عددي ، ويفرق جمعي ويبدد مالي ويخفض حالي ، فذلك بيد الله وإلى الله ، وهو الذي يتولى النعمة على الإحسان إلي ، وبه أستعين ، ويعيذ الله عز وجل أمير المؤمنين ويعصمه أن يجري على يديه شيئاً من المكروه لم أستحقه ، ولم يبلغه ذنب اجترحته » . وتصل شجاعة موسى في مجابهة مواقف الخوف ذروتها يوم أن قتل ابنه عبد العزيز [1] في الأندلس . وحمل رأسه إلى دمشق ، فبعث سليمان إلى موسى فأتاه . فلما جلس وراء القوم قال له سليمان وقد ألقى برأس ابنه بين يديه ، « أتعرف هذا الرأس يا موسى ؟ » فقال « نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى »

---

(١) راجع قصة مقتل عبد العزيز في آخر الكتاب « موسى وعودته إلى الشام » .

فقام الوفد الذي جاء من الأندلس برأس عبد العزيز ، فتكلموا بما تكلموا به مما استوجب قتله . ثم إن موسى قام فحمد الله ثم قال : « وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين ، فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواماً ، وليله إلا قواماً شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين – وهنيئاً له الشهادة – قتلتم والله صواماً قواماً » . ودخل موسى يوماً على سليمان وعنده الناس فلما رآه سليمان قال : (ذهب سلطان الشيخ) وأبصره حين تكلم ، فلم يفهم ما قال ، فلما سلم قال : (رأيتك يا أمير المؤمنين لما نظرتني داخلاً ، تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به) قال : (نعم – قلت : ذهب سلطان الشيخ) . فقال له موسى : (أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ ، لقد أثر الله به في دينه أثراً حسناً ، ولقد كنت طويل الجهاد في الله ، حريصاً على إظهار دين الله حتى أظهره الله ، وكنت ممن أتم الله به موعده لنبيه . ولئن أدبر معك ، لقد كان مع آبائك . ناضر الغصن ميمون الطائر) فقال سليمان : (هو ذاك ؟ !) فقال موسى : (وهو ذاك) فلم يزل يرددها سليمان ، ويرددها موسى ، حتى سكت سليمان .

هذا بعض ما حفظه التاريخ من مواقف موسى وشجاعته في مجابهة الخوف . ثم هو يحدد شجاعته في الميدان من خلال وصفه للآخرين ، فعند وصفه للروم يقول (أسود في حصونهم ، عقبان على خيولهم ... لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة) فهو يصفهم بالأسود . والعقبان ، ولكنهم لا يرون

عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة ، ومعنى ذلك أن موسى يعتبر من العار الهزيمة مهما تكن النتائج — وهذه هي أعلى مراحل الشجاعة في مجابهة الخوف عند موسى ، القائد الذي لم تهزم له راية قط . وقد يكون هناك ثمة تشابه بين شجاعة موسى وشجاعة خالد في مجابهته لابن الخطاب يوم عزله فقال خالد للخليفة (لقد شكوتك للمسلمين فبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر) . وقد يكون في موقف موسى ما يشابه موقف عمرو بن العاص من أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم عزله . ولكن رغم كل تشابه في هذا المجال مما ينسب إلى الديمقراطية الإسلامية والإباء العربي ، فقد كان موسى بن نصير عالم وحده في شجاعته المادية والمعنوية ونسيج فريد بين القادة وبين الرجال .

٥ — القرارات الصحيحة :

ترتبط عملية الوصول إلى القرارات الصحيحة بمجموعه من المعطيات والعوامل . بينها المعرفة الصحيحة لأبعاد الموقف من مختلف النواحي ، مما يساعد على تقدير الموقف السليم والوصول بالتالي إلى القرارات الصحيحة . وقد أبرز عرض الأعمال القتالية لموسى بن نصير ، وكذلك ما تبع ذلك من عرض للأسس الاستراتيجية ولمبادىء الحرب مما كان يطبقه هذا القائد العربي المسلم ، أنه كان يبحث عن المعرفة التامة للعدو والأرض

وطبيعة منطقة العمليات دون إغفال لميزات القوات الصديقة وكفاءتها وقدراتها القتالية .

وقد ساعده ذلك على اتخاذ قراراته بصورة صحيحة في جميع المواقف التي جابهها على مستوى العمليات القتالية بصورة خاصة . وربما كان من الصعب انتقاء موقف معين يبرهن على نجاح موسى في الوصول إلى (القرارات الصحيحة) . فالرجل الذي ما انتكست له راية ، والقوات التي لم تعرف تحت قيادته الهزيمة ، فذلك يعتبر في حد ذاته دليلاً كافياً على أن قرارات موسى كانت دائماً صحيحة . فقرار موسى بتطبيق استراتيجية الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة وإخضاع المقاومات على التتابع (الأدنى فالأقصى) وقراره في عزل نفوذ الروم (البيزنطيين) ومنعهم من التدخل في مسيرة عملياتها ، وحرص موسى على بناء المجتمع الجديد بعد كل عمل قتالي مباشرة ، واستخدام أساليب الحرب التشتيتية ، وكذلك تطبيق ما هو صالح من مبادىء الحرب لمجابهة كل موقف ، إنما هو كله برهان على القرارات الصحيحة للقائد موسى بن نصير . ولقد عرف تاريخ الحروب أعمال عدد كبير من القادة في اتخاذ قرار صحيح أمام موقف معين ، ولكنهم قليلون هم الذين تميزوا بوصولهم في المواقف جميعها إلى اتخاذ القرارات الصحيحة . وهنا قد يظهر ثمة تناقض بين قرارات موسى الصحيحة على المستوى العملياتي ، وبين قرارات موسى المتعلقة بسلوك موسى الشخصي ، سواء في معاملته لمرؤوسيه (موقفه

من طارق) أو في تعامله مع رؤسائه (سليمان بن عبد الملك) . وتتعلق قرارات هذه المواقف في الواقع بمعطيات مختلفة ، انها تتعلق قبل كل شيء بمفهوم موسى بن نصير للانضباط والطاعة ، كما تتعلق أيضاً بقيمه الدينية بحيث لا يمكن إيضاح هذه القرارات دون استعراض الأحداث المحيطة بها وهذا ما سيتم التعرض له عند دراسة مفهوم موسى للانضباط والطاعة . وعند ذلك وعلى ضوء تلك المعطيات يمكن معرفة ما إذا كانت قرارات موسى الشخصية صحيحة أم هي غير ذلك ؟ .. ولكن مهما كان عليه الموقف ، فان التقويم السليم للقرارات الصحيحة يتعلق أصلاً بنتائج هذه القرارات ، وقد كانت النتائج رائعة على المستوى العملياتي وهذا هو الأمر الأكثر أهمية ، أما قرارات موسى المتعلقة بشخصه فقد احتمل هو نتائجها ، بالدرجة الأولى ، ولو أنها كانت ذات انعكاسات سيئة على مستقبل الفتوحات ، ولكن تبقى هذه خارجة على إرادة موسى ، وبعيدة عن إرادته وحده .

٦ ـ حماية المرؤوسين :

ما من قائد في تاريخ الحرب قديمه وحديثه ، إلا أظهر اهتماماً خاصاً بتأمين الحماية لمرؤوسيه . فهؤلاء المرؤوسين هم الذين يضطلعون بأعباء القتال وهم الذين يحملون على أكتافهم النصر ، وهم الذين يحتملون المصاعب فيقتلون

ويقتلون . ولكن عقيدة الإسلام الدينية وما تفرع عنها من عقيدة قتالية حرضت القادة باستمرار على حماية مرؤوسيهم . وقد سن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم السنة لحماية المسلمين وتبعه الخلفاء وقلدهم قادة الجيوش فساروا على السنة ذاتها . وكان موسى بن نصير إنساناً مسلماً وقائداً مؤمناً فكان من الطبيعي أن تتمثل في تدابيره كلها متطلبات حماية المرؤوسين . ولم تكن حماية موسى لمرؤوسيه تقتصر على المسلمين التابعين لقيادته ، وإنما للمسلمين قدر ما يستطيع . ويظهر ذلك خاصة في نصيحته لابن عطاء حتى لا يركب البحر في فصل الشتاء (وألا يغرر بنفسه) خوفاً عليه وعلى المسلمين معه . وكذلك عندما طلب إلى يوليان استطلاع الأندلس حتى (لا يغرر بالمسلمين) وكذلك أيضاً عندما طلب إلى طارق عدم مغادرة الجزيرة الخضراء ، ثم إسراعه للعبور عندما تطلب الموقف نجدة المسلمين ودعمهم . وخضع لإرادة المقاتلين عندما شعر أنهم حملوا من كره القتال ما كفاهم حتى أصبحوا بحاجة للراحة . وأما تدابير حماية المرؤوسين على المستوى العملياتي فتظهر في تطبيقه لاستراتيجية الحروب التشتيتية . وتنسيق عمليات القوات لتبادل الدعم فيما بينها . مع تأمين مؤخراتها وحمايتها من كل مباغتة .

وكان موسى يؤمن حماية مرؤوسيه بنفسه ، ويدفع أبناءه على رأس الحملات ، ليحمي قواته بأقرب الناس إليه ، وأعزهم على نفسه . فكان ابنه عبد الله على حرب افريقية

- وهو الذي فتح جزيرة ميورقه من جزر الباليئار - كما كان ابنه عبد الملك على حرب طنجة وما يليها من المغرب . وبقي ابنه عبد العزيز على حرب الأندلس وقد كلفه موسى بسد ثغورها وحرب عدوها . وموسى يعتبر بذلك أن ممارسة القيادة تكليفاً لا تشريفاً ، وأعباء أكثر منها ممارسة للسلطة أو اشباعاً لحب السيطرة . فلا ريب أن اندفاع موسى على رأس القوات ، وكذلك تقدم أبناءه ، كان يجعلهم أكثر عرضة للقتل ، وكان هذا القتل تشريفاً ، وهذا في حد ذاته يدحض كل مقولة في التحكم والسيطرة ويبرهن على أن هذا الإجراء إنما كان بهدف حماية المرؤوسين ، واعطائهم الأمثولة في التضحية وإنكار الذات . **أما تدابير موسى الوقائية والمعروفة بتدابير الحيطة والأمن** فهي مما كانت تطبقه قوات المسلمين جميعها في حروبها كلها . ولكن الحرص على تطبيق هذه المبادىء بتأثير القائد موسى بن نصير ، وتحريضه عليها ، هو الذي يبرز من خلال النتائج التي أمكن لموسى تحقيقها . وإذا كانت متطلبات مسرح العمليات التي كانت تزيد على الحجم العددي لقوات المسلمين هي التي حملت موسى على تطبيق كل ما من شأنه حماية مرؤوسيه فلقد كان له من دينه وعقيدته ما يدفعه أيضاً لأن يكون أكثر حرصاً على حماية المسلمين .

ب ـ موسى بن نصير وقوات المسلمين

سأل أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك مولاه مغيثاً الرومي عن طارق بن زياد وقد أراد أن يوليه الأندلس بعد موسى ، فقال : « كيف أمر طارق بالأندلس ؟ . قال مغيث : لو أمر أهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا ! » .

وسهر يزيد بن المهلب ليلة عند موسى فقال له : « يا أبا عبد الرحمن ! في كم تعتد من مواليك وأهل بيتك ؟ . فقال له موسى في كثير ، فقال يزيد ، يكونون ألفاً ؟ . فقال له موسى : وألفاً وألفاً إلى منقطع النفس ؟ » . هذان هما القائدان اللذان فتحا الأندلس ، وإليهما وحدهما يعود الفضل فيما حققه المسلمون من انتصارات رائعة . وكان كلاهما قوي العدة والعدد ، قوي الإرادة والعزم ، قوي التأثير على من حوله . ولكن كان موسى دون ريب هو الأقوى ، ليس ذلك لأن طارقاً كان مولاه ، ولكن لأنه الأقوى في (حوار

الإرادات) . ولقد أبرزت مسيرة الأحداث ما كان عليه موسى من قوة الشخصية ، وليست هذه النقطة هي موضع البحث ، وإنما النقطة الأساسية هي أن قيادة رجال من أمثال طارق ليست بالعملية السهلة ، ولقد كان في صفوف المسلمين من التابعين من هم من أمثال طارق في رجولتهم وفروسيتهم وكفاءتهم . وهنا تبرز قدرة موسى بن نصير ، فقد كان أسداً يقود جيشاً من الأسود ، لا أسداً يقود جيشاً من النعاج . ولقد كان لجيوش المسلمين ميزات معروفة ليس أقلها (الشجاعة ، والصبر على احتمال الصعاب ، والرغبة في القتال) وإن توافر هذه الصفات في جيش المسلمين هو مما كان يفرض على القائد أعباء إضافية . وهنا يظهر التأثير المتبادل بين موسى بن نصير ، وبين جيش المسلمين في المغرب والأندلس .

لقد ضم جيش موسى بن نصير عنصرين متمايزين ، العنصر العربي ، والعنصر الافريقي ، واستطاع أن يحقق الانسجام الكامل بينهما . وكان البربر – باعتراف موسى – هم أقرب الناس للعرب ، في طبيعتهم ، وتكونهم الطبيعي ، وظروفهم الحياتية ، حتى في حميتهم ، وكان هذا التشابه هو الذي بنى موسى على أرضيته قاعدة الانسجام في العمل الواحد . فبعد أن عرفهم بالإسلام ، اندفعوا إلى حمل الرسالة ، تماماً كما فعل العرب الذين قاوموا الرسالة عند ظهورها ثم قاموا بحملها إلى أرجاء الدنيا . فتكونت لموسى بن نصير قاعدة قوية ، وتوافرت له قدرة بشرية لم تتوافر لسواه . وقد عرف موسى

أهمية هذه القوة فوجهها للفتح ، ووضع أمله بها ، وأخذ ينظر إلى الأفق البعيد من خلالها . ولم يكن هذا الأفق البعيد هو الحصول على مكاسب دنيوية – على الرغم من المغانم الكبيرة التي تم الحصول عليها – وإنما كان الهدف هو ديني في أساسه . وهكذا فان أول ميزات جيش موسى بن نصير هو اعتماده على عنصرين متمايزين وموحدين بأهدافهما وبقيادتهما. علاوة على الميزات القتالية التي يمكن استعراض بعضها في الصفحات المقبلة .

١ – الاستعداد الدائم للقتال :

لم ينكب المسلمون ، ولم تنتكس رايتهم في فتوح المغرب منذ تولى موسى بن نصير قيادتهم وهذا برهان واضح على أنه كان من المحال على خصومهم النيل منهم ، أو مباغتتهم بسبب استعدادهم الدائم للقتال . وقد يكون من الصعب إدراك مضامين هذا الاستعداد بدون أساليب فهم حرب الحركة التي كان يطبقها المسلمون في حروبهم .

إن الإستعداد الدائم للقتال يعني على مستوى القيادة اتخاذ جميع التدابير الضرورية لحماية القوات ضد كل مباغتة ، واتخاذ تدابير الحيطة عند التوقف وأثناء التحرك وخلال المعركة ، وهو يعني بالنسبة للقوات الانضباط الدقيق في العمل وقدرة الاحتمال والصلابة والقسوة ، وكان الإنسان العربي ،

بطبيعة حياته القاسية ، وبفضل نمط حياته البسيط ، مؤهلاً لكل ذلك ، ثم جاء الإسلام ، فخلق الذريعة في النفوس وغرس الايمان في القلوب وكلفهم بحمل الرسالة ، فظهرت تلك القدرات المبدعة في مستويات القيادة وعلى مستوى المقاتلين على حد سواء .

ننطلق من هذا الإطار العام بعد ذلك ، إلى الإطار الخاص بموسى بن نصير ، فقد تولى موسى قيادته بعد مجموعة من الانتصارات والانتكاسات ، دفع المسلمون في الحالين ثمنها غالياً ، فكان لا بد من وضع حد نهائي وحاسم للمواقف جميعها ، وأخذ موسى في قيادة أعماله القتالية ضمن اطار « حرب الحركة » فكانت قوات المسلمين تتحرك فوق الرمال الافريقية (كالسيل الجارف ، وكالزئبق المرن) كالسيل الجارف في مجابهته لسدود المقاومة وفي الالتفاف حولها ثم صدمها بقوة لتدميرها والتفرق عند الوصول إلى السهول أو عند التحرك في الأودية والجبال للالتقاء من جديد عند ظهور سد جديد للمقاومة . وبفضل هذه الاستراتيجية أمكن إزالة المقاومات جميعها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان طبيعة هذا التحرك وأسلوبه جعل قوات المسلمين بعيدة عن أهداف الأعداء في كل وقت (تماماً كمحاولة الإمساك بالزئبق) . وبذلك حافظ موسى بن نصير على استعداد قواته ، وضمن لها الحماية (حتى لم تنتكس لها راية قط) .

ان حركة موسى بن نصير في افريقية ، ثم في الأندلس بعد

ذلك ، تشابه إلى حد بعيد تحرك قوات المسلمين عند انطلاقتهم الأولى من الجزيرة العربية حتى معركة اليرموك الخالدة ، ثم فتوح الشام بعد ذلك . وكانت قوات المسلمين هنا وهناك على مستوى (الاستعداد للقتال ذاته) ولكن كان في القيادة شيء مختلف ، **هو شخص موسى بن نصير الذي جمع في شخصه تسرع خالد بن الوليد واندفاعه في حرب الحركة وكفاءة أبو عبيدة بن الجراح وتقديره الصحيح للأمور** . وبفضل ذلك استطاعت قوات المسلمين بقيادة موسى بن نصير تحقيق تلك الانجازات الخالدة التي حفظها لها التاريخ .

٢ - الروح المعنوية العالية :

تجمع الأبحاث الحديثة في موضوع الروح المعنوية على أنها **محصلة للثقة بالقائد** ثم **الثقة برفاق السلاح** من المقاتلين ، ثم بعد ذلك **الثقة بالسلاح** ذاته ، وبقدر ما يمكن توفيره من هذا العامل بقدر ما ترتفع الروح المعنوية ، ويأتي بعد ذلك الإيمان بالهدف تتويجاً لهذه المحصلة كلها . وفي موقف موسى بن نصير ، كانت كفاءته العالية في القيادة وحرصه على أمن مرؤوسيه ، وقيادته لهم وهو في مقدمتهم. والعدالة في معاملة المرؤوسين هي بعض الصفات التي ضمنت لمرؤوسيه قدراً من الثقة لا ينتابه الشك ، (حتى أصبح أتباعه ألفاً وألفاً إلى منقطع النفس) . ورغم هذه الثقة المطلقة فان عامل شخص القائد ،

وتأثيره على الروح المعنوية ذو أهمية تأتي في المرتبة الثانية بالنسبة للعقيدة القتالية عند المسلمين . فالثقة يستوحيها المسلم من إحدى الحسنيين (الشهادة أو النصر) وقصة عزل خالد (حتى لا يفتن المسلمون به) معروفة في التاريخ ، كما أن تناوب القيادة ، وانتخاب المسلمين لمن يقودهم (عند استشهاد القائد) هي من الشواهد التي تبرهن على أن المسلمين يستمدون من عقيدتهم روحهم المعنوية العالية أكثر مما يستمدونها من أشخاص القادة . ولكن ممارسة القيادة بنجاح كانت تفرض على هؤلاء القادة إعطاء المثل الأعلى في كل أمورهم بما يوحي بالثقة لجنودهم والمقاتلين تحت رايتهم . وكان موسى بن نصير نموذجاً فريداً بين القادة في قدرته على اكتساب ثقة مرؤوسيه والمقاتلين معه . وكان وجوده وممارسته لقيادته كافياً لرفع الروح المعنوية ، بدلالة قدرته على استئناف الفتوح بعد كل مرحلة تصل فيها قوة المسلمين إلى الاستنزاف الكامل عند فتح الأندلس . أما بالنسبة للثقة المتبادلة بين المقاتلين وأثرها على الروح المعنوية ، فهي تستند إلى تعاليم الإسلام أكثر مما تستند إلى كفاءة القائد أيضاً ، فقد ساوى الإسلام بين المسلمين جميعهم على أساس العمل والتقوى . وكان واجب القادة هنا الحرص على تحقيق هذه المساواة . ولقد ضمت جيوش موسى بن نصير المسلمين من عرب وبربر وغيرهم واستطاع موسى تحقيق المساواة بما ضمن له تلاحم القوى كلها للوصول إلى الهدف . وكانت الروح المعنوية العالية تتغذى بهذا المعين من المساواة

والتلاحم . أما بالنسبة للثقة بالسلاح وأثره في ارتفاع الروح المعنوية فهي ليست عند موسى بن نصير قضية (حجم أسلحة) أو (نوعية معينة) بقدر ما هي تطوير في الفكر الاستراتيجي لاستخدام (ما هو متوافر) من الأسلحة على المستوى العملياتي ، ولقد سبق ذكر المنجزات التي حققها موسى بالنسبة لبناء القوة البحرية ووضع الاستراتيجية المناسبة التي تضمن للعمليات أكبر فرص من النجاح ، وبذلك استطاع موسى أن يحافظ على الروح المعنوية للمسلمين في إطار (العقيدة القتالية) التي جاء بها الإسلام ورسم لها كل أبعادها .

٣ ـ الكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب :

شيخ في الثمانين من عمره ، يمتطي صهوة جواده ـ دون ركاب ـ ، يسير على رأس جيشه آلاف الأميال ، في الحر والقر ، في السهول والجبال ، في الليل والنهار ، ثم هو بعد ذلك يقتحم المعارك في مقدمة الصفوف ، ويسير في ركابه من التابعين شيوخ مقاتلون ، كلهم قد ابتعد عن عمر الشباب وقوته، ومعهم شيوخ البربر، فيتشكل من ذلك كله مشهد لا نظير له ولا شبيه ، مشهد هو النموذج الأعلى للكفاءة البدنية العالية ، والقدرة على تحمل الصعاب ، وليس باستطاعة المقاتلين من الشباب بعد ذلك إلا الاندفاع قدر استطاعتهم وإلا احتمال المزيد من الصعاب ، والمزيد من المشاق ليبرهنوا

لشيوخهم أنهم جديرون بأن يكونوا من أبنائهم ، ويستحقون أن يفخروا بهم . تلك هي صورة القائد العربي موسى بن نصير وجيشه العربي الأفريقي الذي فتح المغرب ، ثم فتـــح الأندلس تحت راية الإسلام .

لقد حفظ التاريخ القديم والحديث نماذج مختلفة جداً لكفاءة المقاتلين العالية ، وقدرتهم على تحمل الصعاب ، فمقاتلي الهون كانوا نماذج رائعة لقدرة الاحتمال ، والمقاتل الاسبارطي مقاتل كان يعيش حياته للحرب وفي الحرب، والجندي الروماني أقام امبراطوريته الواسعة بفضل ما تميز به من الكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب . ولقد أظهر الجندي النازي في العصر الحديث بطولة رائعة في كفاءته ، وفي قدرته على احتمال كره القتال ، وكذلك الجندي السوفييتي الذي صمد للمحن التي نزلت ببلاده ولكن في هذه الحالات جميعها كانت هناك مقادير متوازية من (التحديات والاستجابات لها) . فقد كان الغزو النازي للاتحاد السوفييتي تحدياً جابهه المقاتلون باستجابة مناسبة مارس فيها العامل المعنوي الدور الأول. وعند صراع الإرادات لم تلبث أن انهارت الإرادة الأضعف في مقوماتها (إرادة الغزو) . أما في الفتوح الإسلامية فهناك عامل أكبر يضم فيما يضمه (التحدي والاستجابة) ولكنه كان يتجاوز ذلك أيضاً لتحقيق هدف نبيل فيه خير الإنسانية . ومن هذا الهدف النبيل كان المقاتلون يستمدون عوناً معنوياً لا ينضب يساعدهم على تحمل الصعاب مهما عظمت . وتلك هي الميزة

الكبرى للمقاتلين من العرب المسلمين الذين لم تعرف الدنيا لهم مثيلاً أو نظيراً .

مرة أخرى قد يكون من الصعب فصل عامل من العوامل عن بقية (مجموعة العوامل) التي تتداخل في نظام محكم لتكوين فن الحرب . ومبادىء الحرب ، فالكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب تتداخل بصورة وثيقة بعامل الروح المعنوية العالية . وبالاستعداد الدائم للقتال ، ولكن رغم ذلك ، فان النظر إلى المسافات الشاسعة التي تجاوزها العرب المسلمون في فتوحاتهم حتى الوصول إلى بلاد الغال (فرنسا) ، ثم تصور ظروف الحرب القاسية هو وحده برهان ساطع على ما كانت تتحلى به قوات العرب المسلمين التي قادها موسى بن نصير ، وما كانت تتميز به من كفاءة بدنية عالية ، وقدرة على تحمل الصعاب بداية من القائد ذاته وحتى آخر مقاتل في جيش المسلمين .

٤ — موسى وما يعرف حالياً (بالحرب الشعبية) :

يعتبر موسى في مضمار حشد القوات وتعبئتها مقلداً لا مجتهداً ، ومتبعاً لا مبتدعاً . ولكن حتى في التقليد والاتباع هناك ثمة كفاءة عالية لا يمكن إنكار دورها أو تجاهل أثرها . فلقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم هو أول من عبأ قوات المسلمين جميعها للجهاد ، وهو واضع أول أساس لما

أصبح يعرف حالياً باسم (الحرب الشعبية) وقد كان في عمله هذا منفذاً لتعاليم الإسلام ، ونهج الخلفاء الراشدين وأمراء الأمويين من بعدهم على نهج السنة في حشد القوات وتعبئتها . وعندما تولى موسى بن نصير قيادته ، وجد في سنة السلف ما يكفيه مؤونة الاجتهاد ، فعمل على تطبيق المبادىء وفقاً لموقفه الخاص على مسارح العمليات المختلفة .

لقد تولى موسى بن نصير افريقية وهي تضطرم ناراً ، فكان أول عمل له هو تأمين قواعد انطلاقه ، ثم انصرف لإخماد الفتن والقضاء على الثورات وتصفية قواعد العدوان وبناء المجتمع الإسلامي الجديد ، ووجد بعد ذلك في افريقية طاقات ضخمة وإمكانات جبارة . فأفاد من حرية العمل المتوافرة له وانصرف إلى متابعة حشد القوات وتعبئتها وقيادتها من نصر إلى نصر . وإشراكها في شرف الفتوح وتحميلها أعباء نشر رسالة الإسلام فدانت له افريقية وخضعت له الأندلس ، ويذهب بعض المؤرخين من المسلمين (القدماء والمحدثين) إلى أن تطبيق موسى لهذا المبدأ هو الذي ضمن استقرار الإسلام نهائياً في المغرب العربي ، ذلك أن توجيه موسى بن نصير قوات المسلمين من عرب وبربر لفتح الأندلس صرف المسلمين عن الاقتتال الداخلي إلى الاقتتال مع أعداء المسلمين . وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن موسى بن نصير لم يجعل من (الحرب الشعبية) إذا صح التعبير هدفاً له (لمنع الاقتتال الداخلي) وإنما وسيلة لنشر الإسلام بدلالة حدوث أمور مشابهة عند فتح

المشرق الإسلامي منذ الأيام الأولى للفتوح ، ومنذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ان العامل الأساسي في (الحرب الشعبية) بمضمونها الحديث هو (هدف الحرب) وهذا يبرهن على أن تطبيق موسى بن نصير لهذا المبدأ لم يكن هدفاً في حد ذاته وإنما وسيلة لخدمة (هدف الحرب) على نحو ما كان عليه قبل موسى بن نصير . وإذا عدنا مرة أخرى إلى سيرة الفتوحات نجد بأن أعباء الفتوح وأبعادها كانت تتجاوز كثيراً قدرة العرب وقوتهم ، فكان نظام التعبئة عندهم تلبية لحاجة واستجابة طبيعية لتحديات كبيرة . ورغم ذلك فقد كان نجاح موسى بن نصير رائعاً عند تطبيقه لهذا المبدأ ، فقد استطاع حشد قوات ضخمة — رغم حداثة المغرب في عهده بالإسلام والمسلمين — وسار بهم إلى الأندلس ، وكان يطمح للسير إلى أبعد من الأندلس بفضل استخدامه الماهر لنظام التعبئة عند المسلمين ، وكفاءته العالية في تحقيق المساواة بينهم وإيجاد الحوافز التي تستجيب للتحديات المفروضة عليهم .

٥ — موسى وحرية العمل :

قاد موسى بن نصير جيوش المسلمين في افريقية وفي الأندلس ، وكلاهما مسرح عمليات بعيد جداً عن مركز الدولة (في دمشق) . وهذا لا يعني انعزال مسرح العمليات بقدر

ما كان يعني توافر قدر كبير للقائد من (حرية العمل) . فلقد كان الخليفة الأموي على اتصال دائم بمسيرة الأحداث ، وكان موسى يحرص في كل أموره على إطلاع الخليفة على تطورات الموقف ، ولكنه مع ذلك لم يكن يرجع لأحد في اتخاذ قراراته النهائية . هنا تظهر الكفاءة العالية للقائد في الإفادة من (حرية العمل) لإجراء موازنـــة دقيقة بـــين أهدافه السياسية — الاستراتيجية ، وبين قدرة قواته العملياتية ، ثم بعد ذلك في إحكام مخططاته وفق هذه المعطيات ، ويتشابه موقف موسى ابن نصير بموقف عقبة بن نافع في هذا المضمار ، كما يتشابه موقفه مع موقف رومل في الحرب العالمية الثانية على مسرح العمليات الافريقي ذاته . وان مجرد هذه المقارنة في الظروف المتباينة على مسرح عمليات واحد تظهر الكفاءة الخاصة التي انفرد بها موسى بن نصير .

لقد ربط موسى بن نصير قبل كل شيء . بين الاستراتيجية البرية أو القارية والاستراتيجية البحرية ، فضمن لنفسه بذلك (حرية العمل التامة) وهذا ما لم يتحقق لرومل بسبب ضعف حلفائه الإيطاليين ، وبسبب عدم وحدة القيادة .

لقد كانت الدولة البيزنطية بالنسبة للقوة البحرية في عصر فتوحات موسى بن نصير . تشابه قوة البحرية البريطانية في البحر المتوسط خلال الحرب العالمية الثانية ، ولو استطاع رومل الانفراد بحرية عمل تضمن له استراتيجية قارية — بحرية

متكاملة لتغير وجه العالم تماماً كما استطاع موسى بن نصير تغيير خارطة العالم قبل اثني عشر قرناً تقريباً .

لقد توافر لعدد كبير من القادة في تاريخ الحرب قديمه وحديثه ما يكفي من حرية العمل لإنجاز الأعمال الرائعة ، وتسجيل المنجزات الخالدة . ولكن هممهم قصرت عن مطامحهم فقعدت بهم عن استثمار (حرية العمل) بشكلها الصحيح ، وغابت شمسهم دون أن يسجلوا في صفحات التاريخ حتّى ما يذكّر بوجودهم . ولكن الشيخ ذي الثمانين عاماً انطلق لاستثمار هذا العامل حتّى أقصى الحدود ، وقد قصرت حرية العمل عن تحقيق تطلعاته والوصول إلى مطامحه ، فكانت حرية العمل بعضاً من عوامل انتصاراته .

لقد ضمنت حرية العمل لموسى بن نصير القدرة على وضع استراتيجية قارية – بحرية متكاملة ، كما ضمنت له أيضاً زج كل القوى المتوافرة واستخدام ما يعرف حالياً (بالحرب الشعبية) ثم تطبيق مبادىء الحرب بما يتوافق مع المواقف المتنوعة . وقيادة جند المسلمين في هذا الإطار للوصول إلى هدف الحرب . ولكن وبقدر ما كان موسى يستثمر حرية العمل ، فانه كان مركزيّ السلطة (وموقفه مع طارق بن زياد هو نتيجة لمركزية السلطة لا أكثر) . فهل كان اعتماد موسى على كفاءته وخبرته الطويلة وخوفه من تّهور قادته هو سبب مركزيته ؟ أم هو خوفه على المسلمين ؟ الشواهد تشير إلى أن سبب مركزيته يخضع للعاملين معاً .

٦ — الانضباط والطاعة :

سأل يزيد بن المهلب يوماً موسى بن نصير وهو يحادثه : « كيف ألقيت بيدك إلى التهلكة وأنت على ما وصفت من المنعة والقوة ؟ . أفلا أقمت في قرار عزك وموضع سلطانك ، وامتنعت بما قدمت به ؟ فإن أعطيت الرضى وإلا كنت على عزك وسلطانك» ؟. فقال له : «والله لو أردت ذلك لما نالوا من أطرافي طرفاً ، ولكني آثرت الله ورسوله . ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة » .

لقد أوضح موسى بن نصير بشكل واضح وصريح مفهومه في الانضباط والطاعة (وهو إيثار الله ورسوله ، وعدم الخروج على الطاعة والجماعة) . ومن المحتمل أن تطرح في هذا المجال قضية خروج موسى (على الطاعة والجماعة عند خروجه على الأمويين ووقوفه إلى جانب عبد الله بن الزبير في بداية حياته) وأن ما وصل إليه من نتائج عن تصميم الأمويين وأمرائهم للدفاع عن حكمهم هو الذي حمل موسى على الخضوع لسلطانهم والاستسلام لارادتهم . وواضح أن هذا الطرح إنما يهدف لتجريد موسى من عاملي (الشجاعة والايمان) وهما من الميزات الرئيسية التي اتصف بها موسى بن نصير في قيادته . ولكن هناك أكثر من موقف يبرهن على أن موسى كان يستلهم سلوكه من إيمانه العميق ، ويقينه المسلم ، وسبق استعراض عدد من النصوص التي تثبت وجهة النظر هذه وتؤكدها ،

وبالاضافة اليها يمكن الاستشهاد بالنص التالي : (كان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من أقرب المقربين إلى سليمان بن عبد الملك ، وكان لموسى يد على المهلب . وسأل يزيد يوماً موسى فقال له : « أريد أن أسألك فاصغ إلي ... إني لم أزل أسمع عنك أنك من أعقل الناس وأعرفهم بمكايد الحرب ومداراة الدنيا . فقل لي كيف حصلت في يديَّ هذا الرجل – يعني سليمان بن عبد الملك – بعدما ملكت الأندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء البحر الزخار ، وتيقنت بعد المرام واستصعابه ، واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها (افترعتها – أو فتحتها) واستملكت رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشرك ، وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك . ثم إنك علمت أن سليمان ولي العهد ، وأنه المولّى بعد أخيه ، وقد أشرف على الهلاك لا محالة ، وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك إلى التهلكة وأحقدت مالكك ومملوكك (يعني سليمان وطارقاً) وما رضى هذا الرجل إلا بعيد ، ولكن لا آلو جهداً . فقال موسى : إذا جاء الحين غطى على العين ؟ فقال يزيد : ما قصدت بما قلت لك تعديداً وتبكيتاً ، وإنما قصدت تلقيح العقل ، وتنبيه الرأي ، وأن أرى ما عندك ! . فقال موسى : أما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الأرض عن بعد ، ويقع في الفخ وهو بمرأى عينه ؟ ..

وتظهر المناقشة في هذا النص مجموعة من النقاط :

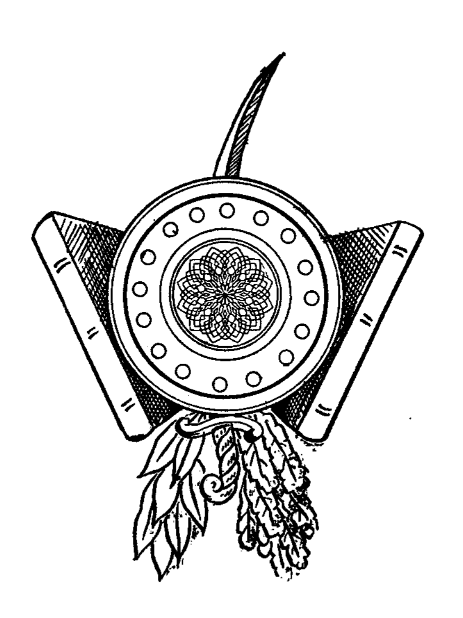
١ ــ إيمان القائد موسى بن نصير بقدره الحتمي ومصيره الذي كتبه الله له (إذا جاء الحين غطى على العين . ثم يضرب لذلك مثلاً بالهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض عن بعد ، ثم هو يقع في الفخ وهو بمرأى عينه ؟ . وهذا يبرهن على أن مفهوم الانضباط والطاعة عند موسى هو موضوع يرتبط بعقيدته الدينية ــ أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم ــ ومن المحتمل أن تكون تجربته في التمرد مع ابن الزبير قد دعمت لديه هذا الشعور الديني ، فأصبح أكثر التزاماً (بالطاعة والجماعة) وهذا ينفي عنه العمل بتأثير عامل (الخوف) .

٢ ــ يبرهن حديث يزيد إلى موسى ، ما كان معروفاً عن تمرد القادة كلما عرفوا في أنفسهم القوة ، وأدركوا أن باستطاعتهم التمرد على سلطة الدولة والخروج على طاعتها . فيزيد ، وهو أقرب المقربين إلى سليمان ، يلوم موسى لعدم تمرده ، وبقائه في موطن عزه (من البلاد التي فتحها والتي لا يعرف أهلها في الخير والشر سواه) وهذا كان يقيناً من الأسباب الرئيسة التي حملت الوليد على استدعاء موسى للحضور إلى الشـــام .

ضمن إطار هذا المفهوم في الانضباط والطاعة ، يصبح بالامكان ادراك سبب غضب موسى لمخالفة طارق ما تلقاه من أوامر . فموسى لا يطالب طارق بغير ما يلزم به نفسه من الانضباط والطاعة ، فهو يريد من مرؤوسيه أن يلتزموا بما

يلتزم به ، وعلاوة على ذلك ، فقد كان موسى هو المسؤول عن العمليات في منطقة خطره . وكان يعرف أهمية وحدة القيادة ، فهو يمسك القيادة بمركزية قوية ، وبقبضة حازمة حتى يستطيع التنسيق بين مختلف العمليات . وهذا سبب كاف لإثارة غضب موسى عند خروج قائده على تعليماته وتجاوزه لها ، ورغم ذلك ، فانه لم يفعل معه (أكثر من أن يقنع موسى بالسوط) بحركة من الأبوة الطاغية ، ثم هو يرضى عنه ويقبل اعتذاره ويدفعه على مقدمته ويشركه في فتوحاته . مما يبرهن مرة أخرى على أن غضبه كان — فكرياً مبدئياً — لا علاقة للعواطف والانفعالات فيه . بقيت النقطة الثانية في خلاف موسى مع مولاه طارق ، وهي نقطة الغنائم . فقد طلب إلى طارق تسليمه ما استولى عليه من غنائم ، فهو المسؤول (أمام الله وأمام الناس ، عن تقسيم الغنائم ، وتوزيع أربعة أخماس الغنائم على المجاهدين وارسال الخمس إلى بيت الله — بيت مال المسلمين — وكان حرص موسى على تطبيق هذا المبدأ ، هو التزام من موسى بالممارسة حقوقه وواجباته الدينية والدنيوية من جهة ، وهو تأمين للاجراء الإداري وتحقيق العدالة في توزيع الغنائم من جهة أخرى ، لاسيما وقد حفظت المصادر التاريخية أن إغراء مغانم الأندلس كان كبيراً ، بحيث غلَّ أكثر المجاهدين — بمعنى استأثروا بالمغانم قبل تقسيمها — ولقد رغب موسى دون ريب عدم انصراف المجاهدين إلى الأمور الدنيوية ، كما أنه لم يكن يرغب في أن يتبع أفراد جيوشه سابقة في خرق

تعاليم الدين ، فطلب تسليمه الغنائم ليوزعها وفق الشريعة ، أما القول بأن موسى كان يرغب في الغنائم لنفسه . فلا حاجة لمناقشته أو دحضه ، إذ كان نصيب موسى من الغنائم كبيراً . يكفيه بحلاله عن حرامه . كما عرف عن موسى أنه كان كريماً معطاء لا يدخر لنفسه شيئاً . ومن كان هذا أمره ، فلا حاجة به للمزيد من الغنـــائم .



خاتمـــة

١ – موسى وعودته إلى الشام :

ابتليت الدولة الأموية بطمع الطامعين فيها ، وطموح الطامحين للوثوب عليها ، وخروج الخارجين على سلطتها ، وكان في طليعة هؤلاء جميعاً قادة الجيوش الذين ما أن يبتعدوا عن مركز الدولة ، ويجدوا أنفسهم في (مركز القوة) حتى يغتنموا كل فرصة للتمرد والثورة ، وكانت بعض هذه الثورات من القوة ما كادت تطيح بالدولة الأموية ، فكان من سياسة خلفاء الأمويين عدم السماح «لمراكز القوى» بالتعاظم الى الدرجة التي تسمـــح لها بتشكيل خطر يهدد أمن الدولة وسلامتهـــا . ولقـــد وصل موسى بن نصير إلى تكوين (مركز قوة) لا يضاهيه مضاه ، ولا ينافسه منافس ، فلا غرابة إن استشعر الوليد خطر هذا المركز . وما يتضمنه من احتمالات فرضت استدعاء موسى في اللحظة التي وصل فيها إلى (الذروة في

اشتداد الظهور وقوة الأمل) ومما يبرهن على صحة ذلك حديث سليمان إلى يزيد بن المهلب الذي توسط لموسى عند أمير المؤمنين فكان جوابه **(إنه قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور ، وانقياد الجمهور ، والتحكم في الأموال والأبشار ، على ما لا يمحوه إلا السيف ، ولكن قد وهبت لك دمه ، وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غلّ من مال الله).**

وإذا ما تجاوزنا قضية غلّ موسى من مال الله التي تشير الشواهد كلها على أنها كانت محض افتراء ، فان السبب الذي تم استدعاء موسى من أجله هو (انه قد اشتمل بما تمكن له من الظهور) فأصبح في مركز للقوة يشكل خطراً على أمن الدولة وسلامتها . ومما يؤكد ذلك تحريض سليمان على قتل عبد العزيز حتى لا يثور إذا ما بلغه عزل والده واضطهاده . وتذكر بعض المصادر التاريخية حول مصرع عبد العزيز ما يلي : « عندما قفل موسى عن الأندلس ، أنزل الرابطة والحامية بثغورها ، وأنزل ابنه عبد العزيز لسدها وجهاد عدوها ، وأنزله بقرطبة فاتخذها دار إمارة ، وكان عبد العزيز خيّراً فاضلاً . وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ، وقد دس سليمان إلى أهل الأندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الأندلس . وهو عبد العزيز بن موسى . وقد انصرف عبد العزيز فضبط سلطان الأندلس ، وضم نثرها ، وسد ثغورها ، وافتتح ما كان قد بقي على أبيه موسى منها . وكان من خيرة الولاة ، إلا أن

مدته لم تطل لوثوب الجند به وقتلهم إياه عقب سنة خمس وتسعين في خلافة سليمان الموقع بأبيه موسى لأشياء نقموها عليه ، منها زعمهم أنه تزوج بزوجة لذريق – رودريك – المكناة أم عاصم ، وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح ، وباءت بالجزية ، وأقامت على دينها في ظل نعمتها إلى أن أنكحها عبد العزيز فحظيت عنده . ويقال : إنه سكن بها في كنيسة بإشبيلية ، وإنها قالت له ، لمَ لا يسجد لك أهل مملكتك ، كما كان يسجد للذريق – زوجها الأول – أهل مملكته ؟ فقال لها : إن هذا حرام في ديننا ، فلم تقنع منه بذلك .

وفهم لكثرة شغفه بها أن عدم ذلك مما يزري بقدره عندها . فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون . وأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له ، فرضيت بذلك ، فنمي الخبر إلى الجند ، مع ما انضم إلى ذلك من دسيسة سليمان لهم في قتله ، فقتلوه . كما عزل سليمان عبدالله بن موسى عن ولاية افريقية) . ويتوافق مضمون هذا النص مع الاحتمالات المطروحة . فلولا تحريض سليمان ، لترك أمر محاسبة عبد العزيز على تصرفه للخليفة في دمشق، ولما استطاع الجند أن يجدوا من الجرأة ما يسمح لهم بقتل والي الأندلس . ويتأكد ذلك أيضاً من عزل عبدالله عن ولاية افريقية ، ثم يتأكد ذلك كله من عدم تعيين طارق بن زياد لولاية الأندلس على ما له فيها من الفضل والغناء في الجهاد ، نظراً لمكانته في نفوس الجند (حتى لو طلب اليهم الصلاة إلى أية قبلة لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا) ،

وليس لذلك سوى تفسير واحد هو القضاء على مراكز القوة وعدم السماح لها بالتعاظم .

هناك أيضاً نقطة ثانية لا يمكن إغفالها عند ذكر أسباب استدعاء موسى إلى دمشق ، فقد كان الوليد بن عبد الملك يخشى على المسلمين من انقطاعهم في الأندلس . وكان منذ البداية قد كتب إلى موسى يحذره لاتخاذ كل التدابير لوقاية المقاتلين (وعدم التغرير بهم في بحر شديد الأهوال) . ثم بلغه ما يعتزم عليه (بأن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية حتى يلحق بدار الخلافة) فاشتد قلق الوليد بمكان المسلمين من دار الحرب . ورأى أن ما همَّ به موسى غررٌ بالمسلمين ، فبعث إليه بالتوبيخ والانصراف ، (وأسر إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع ، وكتب له بذلك عهده ، ففتَّ ذلك في عزم موسى ، وقفل عن الأندلس) .

ركب موسى البحر إلى المشرق بذي حجة سنة خمس وتسعين للهجرة ، يجر معه الدنيا بما احتمله من غنائم الأندلس من الأموال والأمتعة ، يحمـــلها على العجـــل والظهر ، ومعه ثلاثون ألفاً من السبي . والمائدة منوهاً بها ، ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الأمتعة ما لا يقدر قدره ، وهو مع ذلك متلهف على الجهاد الذي فاته ، أسيْف على ما لحقه من الازعاج .

استصحب موسى معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش ومن الأنصار وسائر العرب ومواليها ، وأخرج معه من وجوه البربر مائة رجل (منهم أبناء كسيلة ، وملك السوس الأقصى ، وملك قلعة أوساف وملك ميورقة ومنورقة) ومعه من الذهب والفضة والجوهر حمولة ثلاثين ومائة عجلة . واختار موسى ثلاثين من خيرة أسرى القوط ، وذلك حتى يلبسهم أفخر الثياب عند دخوله دمشق (ليدل على عظم الفتح الذي تم على يديه) .

مرَّ موسى في طريق عودته بـ (القيروان) ثم قدم مصر وأقام فيها ثلاثة أيام ، يأتيه أهل مصر في كل يوم ، فلم يبق شريف إلا وقد أوصل إليه صلة ومعروفاً كثيراً ، وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم . ثم سار متوجهاً حتى أتى فلسطين ، ثم قدم على الوليد ، وهو في آخر شكايته التي توفي فيها ، فسلم له الأخماس والمغانم ، والتحف والذخائر ، ولكن الوليد لم يحسن لقاء موسى ، فكان منحرفاً عنه ، بعد أن سبق إليه طارق ومغيث بالشكية منه ، ورمياه بالخيانة ، وقالا له : إنه قد غَلَّ جوهراً عظيم القدر أصابه ، لم تحو الملوك من بعد فتح فارس مثله ، واستقبل الوليد موسى بالتأنيب والتوبيخ ، فاعتذر موسى له ببعض العذر ، وسأله عن المائدة ، فأحضرها ، فقال له : زعم أنه الذي أصابها دونك ، قال : لا ، وما رآها قط إلا عندي فقال طارق : فليسأله أمير المؤمنين عن الرجل التي تنقصها ،

فسأله ، فقال : هكذا أصبتها ، وعوضتها رجلاً صنعتها لها ، فحول طارق يده إلى قبائه فأخرج الرجل، فعلم سليمان (خليفة الوليد) صدقه وكذب موسى ، فحقق جميع ما رمى به عنده ، وعزله عن جميع أعماله ، وأقصاه وحبسه ، وأمر بتقصي حسابه ، فأغرمه غرماً عظيماً كشفه فيه ، حتى اضطره إلى أن سأل العرب معونته ، فيقال إن لخماً حملت عنه في أعطيتها تسعين ألفاً ذهباً ، وقيل حُمِّل موسى ، غرم مائتي ألف . فأدى مائة ألف فعجز ، فاستجار بيزيد بن المهلب أمير سليمان ، فاستوهبه سليمان فوهبه إياه .

هذه الرواية التاريخية هي أقل الروايات (غمزاً) من قناة موسى بن نصير القائد العربي المسلم ، وهناك روايات أكثر قسوة في تصوير ما لحق بموسى هدفها المزاودة على الأمويين ، وفي الواقع ، فبقدر ما تكون الشجرة عالية بقدر ما تتعرض للعواصف والأنواء ، وكان موسى بن نصير قمة فوق القمم ، فكان من الطبيعي أن تكثر الروايات المتناقضة التي يدحض بعضها بعضاً . فلا تستقيم أمام براهين الواقع وقرائن مسيرة الأحداث التاريخية ، وعلى كل حال ، فقد وقع موسى بن نصير ضحية جو المؤامرات التي أحاطت به والتي قادها بصورة خاصة مولاه طارق بن زياد ، ومغيث الرومي . وتوافق ذلك مع رغبة الخلفاء الأمويين في القضاء على مركز المقاومة المتعاظم الذي يمثله موسى ابن نصير ، فكان من جديد ضحية مجموعة الظروف المحيطة به . وعلى الرغم من أن خلاف موسى مع طارق ومغيث هـــو

موضوع جانبي ، إلا أنه قد يكون من المفيد ذكر بعض جوانبه .

كان طارق يطمح لولاية الأندلس ، وكان يجد في مولاه موسى قوة طاغية لا يمكن زحزحتها عن موقعها دون النكاية بها والكيد لها . ولا ريب أن مواقف موسى القاسية ، قد جعلت طارقاً يحمل الضغينة في نفسه . وكذلك كان الأمر بالنسبة لمغيث الرومي الذي كان يطمح إلى ولاية الأندلس ، فأخذ في الكيد لموسى وطارق معاً ، ولم يكن ينكر ذلك . فقد قال يوماً لهما : أعنتكم ولكن ما وفيتم : فسوف أعيث في غرب وشرق .

وعارض يوماً مغيث في محفل من الناس موسى بن نصير ، فقال له موسى : (كف لسانك) فقال مغيث (لساني كالمفصل ، ما أكفه إلا حيث يقتل) .

المهم في الأمر ، أن الوليد مات بعد وقت قصير من وصول موسى ، وتولى الحكم سليمان وهو أكثر حقداً على موسى ، لمخالفته له من جهة ، ولاتفاقه مع الوليد في وجهة نظره بالنسبة لما يشكله موسى من الخطورة ، فاستدعى موسى ووبخه بقسوة ، وأغرمه ، ولكن يزيد بن المهلب وعمر بن عبد العزيز توسطا في الأمر ، وأصلحا الموقف ، حتى خف غضب سليمان وزال ما به من حقد على موسى .

* * *

جمع موسى من خلال الخير ، ما أعانه الله به على ما بنى له من المجد المشيد ، والذكر الخالد ، إلا أنه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيسٌ يسلم منه ، وهو الحقد والحسد . والمنافسة لا تخلو

من ذلك ، فقــد أنشد بعضهم بحضور موسى : (وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا) فقلبه موسى وقال (من يترك الحقدا) ثم قال : إن السيد إذا ترك إضمار الخير والشر والمجازاة عليهما ، اجترُىء عليه ، ونسب للضعف والغفلة ، وهل رأيت صفة أخسر ، من غفلة رئيس أحقده غيره . فنسي ذلك أو تناساه ، وعدوه لا يغفل عنه ، وحاسده لا ينفعه عنده إلا الراحة منه ، وهو في واد آخر عنه ، ولله در القائل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلا

مُضِر كوضع السيف في موضع الندى

ولكن الأصوب أن يكون الرأي ميزاناً : لا يزن الوافي لناقص ، ولا يزن الناقص لوافٍ ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ، ويقدر فيه حسن العاقبة .

* * *

في عام ٩٧ هـ خرج سليمان بن عبد الملك لأداء فريضة الحج ، واصطحب معه موسى بن نصير فيمن رافقه للديار المقدسة ، وبينما كان يسير يوماً إذ دعا سليمان بموسى ، فدعاه أحد رجال سليمان ، وكان موسى يساير رجلاً ، فلم يلتفت موسى إلى ندائه . ثم دعا به سليمان ، فناداه ذلك الرجل أيضاً ، فلم يلتفت إليه، فقال له الرجل: «غفر الله لك ! ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين ؟ إني أخافه وأخاف أن يغضب » فقال موسى : « ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد ، فأما هذا فانه يرضيه ما يرضي الصبي ، ويسخطه ما يسخطه . وسترى ذلك » . ثم تقدم

موسى حتّى لحق ولصق بسليمان ، فقال له : « أين كنت يا ابن نصير ؟ ! » فقال له : « يا أمير المؤمنين ، أين دوابنا من دوابك ! إني لمنذ دعاني أمير المؤمنين لفي كد ، حتى لحقت أمير المؤمنين » فضحك سليمان . وأمر له بدواب من مركبه ، فسايره وحادثه ، ثم انصرف عنه ، فلحق الرجل اليه ، فقال له موسى : « كيف رأيت ؟ » فقال : « أنت كنت به أعلم »

وفي وادي القرى ، أغمض القائد العربي موسى بن نصير عينيه ، تاركاً للدنيا منارات خالدة ، وللعرب المسلمين أمجاداً رائعة ، ولفن الحرب تراثاً مجيداً .

٢ ــ ما بعد موسى :

تعاقب على حكم الأندلس بعد موسى بن نصير عشرون أميراً خلال أربعين سنة وخمسة أيام . ثم جاء عبد الرحمن الداخل ، ليؤسس الدولة الأموية التي استمرت زهاء ثلاثمائة سنة تقريباً .

وقد اتخذ الأمراء الأوائل اشبيلية عاصمة لهم حتى زمن أيوب بن حبيب اللخمي فانتقلت إلى قرطبة ، وفيما يلي مدة حكم كل منهم :

تسلسل	اسم الأمير	السنة الهجرية	مدة الولاية	ملاحظات
٠	طارق بن زياد	٩٢	١ سنة	
٥	موسى بن نصير	٩٣ — ٩٥	٣ سنين	
١	عبد العزيز بن موسى	٩٦ هـ	٦ أشهر	
٢	أيوب بن حبيب اللخمي	٩٦ هـ	٦ أشهر	بعده نُقلت العاصمة إلى قرطبة
٣	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	٩٧ — ١٠٠	٢ سنة و٨ أشهر	
٤	السمح بن مالك الخولاني	١٠٠ — ١٠٢	٢ سنة و٤ أشهر	قتل يوم التروية
٥	عبد الرحمن الغافقي	—	فترة انتقالية	
٦	عنبسة بن سحيم الكلبي	١٠٣ — ١٠٧	٤ سنين و٤ أشهر	
٧	عذرة بن عبد الله الفهري	—	أشهر قليلة	
٨	يحي بن سلمة الكلبي	١٠٧ — ١٠٨	سنة وأشهر	
٩	عثمان بن أبي سعة الخثعمي	١٠٨	٥ أشهر	

سلسل	اسم الأمير	السنة الهجرية	مدة الولاية	ملاحظات
١٠	حذيفة بن الأحوص القيسي	١٠٩	أشهر قليلة	
١١	الهيثم بن عدي الكلابي	١٠٩	أشهر قليلة	
	عبد الرحمن الغافقي	١٠٩ — ١١٢	سنتين تقريباً	ولاية ثانية واستشهد في بلاط الشهداء
١٢	محمد بن عبدالله الأشجعي	١١٣	اشهر	
١٣	عبد الملك بن قطن الفهري	١١٤ — ١١٦	سنتين	
١٤	بلج بن مبشر بن عياض القشيري	١١٧	أشهر	
١٥	عقبة بن الحجاج السلولي	١١٧ — ١٢١	٥ سنين وشهرين	
١٦	ثعلبة بن سلامة العاملي	١٢٢ — ١٢٥	ثلاث سنين	
١٧	أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي	١٢٥	سنة	
١٨	ثوابة بن سلامة الجذامي	١٢٦ — ١٢٩	ثلاث سنين	
١٩	يوسف بن عبد الرحمن الفهري	١٢٩—١٣٨	١٠ سنين	

المراجع

لمعرفة المزيد عن حياة القائد العربي موسى بن نصير يمكن الرجوع إلى ما يلي :

١ - «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» تحقيق الدكتور احسان عباس - دار صادر ص ١/١١٣ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ٢٢٩ - ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ - ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ - ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٥٦٢ ، و ٢/٥٨٧ و ٣/٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ - ١٤ ، ٥٨ ، ٦٤ و ٤/٣٠٣ و ٥/٢٩٥ .

٢ - «المغرب في حلى المغرب ٢/٤٣٤» .

٣ - «تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك» ذخائر العرب - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم : ٦/٤٥٤ ، ٤٦٨ ، ٤٨١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ .

٤ — « الكامل في التاريخ » ابن الأثير — دار الكتاب العربي — أحداث سنة ٨٩ هـ — ص ١١٢/٤ ، أحداث سنة ٩٢ هـ — ١١٩/٤ — ١٢٤ وأحداث سنة ٩٣ هـ . ص١٢٨ ، وأحداث سنة ٩٧ هـ — ص ١٤٤ و ١٤٦ .

٥ — « العبر ، وديوان المبتدأ والخبر » عبد الرحمن بن خلدون المغربي — مطبعة بولاق — القاهرة ١٢٨٤ هـ : ٧١/١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٥١/٣ ، ١١٧/٤ — ١١٨ ، ١٨٧ .

٦ — « البيان المغرب في أخبار المغرب » أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي — مكتبة صادر — بيروت ٢٩/١ — ٣٨ ، ٤٣ ، ٦/٢ — ٣٢ .

٧ — « الإمامة والسياسة » مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة — ١٣٧٧ هـ — الطبعة الثانية ص ٥٨/٢ — ١٠٢ .

٨ — « تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس » الدكتور السيد عبد العزيز سالم — مطبعة المعارف — لبنان — ١٩٦٢ ص ٤٧ ، ٩٢ — ١٠٤ .

٩ — « فتوح مصر والمغرب » أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي ، مطابع لجنة البيان العربي القاهرة — ص ٢٧٠ — ٢٨٥ .

١٠ — « أخبار مجموعة في فتح الأندلس » مؤلف مجهول ص ٦ — ٢٨ .

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة
من أقوال موسى بن نصير	٥
الفصل الأول : عموميات	
١ ـ موسى بن نصير	٩
٢ ـ الطبيعة الجغرافية للأندلس	٢١
آ ـ الجغرافيا الطبيعية	٢١
ب ـ الجغرافيا البشرية	٢٣
ج ـ الموقف عشية الفتح الإسلامي	٢٥
د ـ الغزوات الاستطلاعية	٢٩
هـ ـ حملة طارق بن زياد	٣٢
٣ ـ موسى بن نصير في الأندلس	٣٨
الفصل الثاني : موسى بن نصير وفن الحرب	
آ ـ في الاستراتيجية العليا	٥٩
١ ـ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة	٦١
٢ ـ بناء المجتمع الجديد	٦٤

٣ ــ وضوح الهدف ٦٨
٤ ــ الحرص على العنصر العربي (دعامة الإسلام) ٧٢
٥ ــ استراتيجية الحرب التشتيتية ٧٦
٦ ــ استراتيجية الهجمات الوقائية ٨٠

ب ــ في مبادىء الحرب ٨٣

١ ــ المباغتة ٨٣
٢ ــ أمن العمل ٨٥
٣ ــ الحركية ٨٩
٤ ــ المبادأة واستخدام القوة الهجومية ٩٣
٥ ــ الاقتصاد بالقوى ٩٥
٦ ــ المحافظة على الهدف ٩٨

الفصل الثالث : قيادة موسى بن نصير

آ ــ موسى بن نصير وفن القيادة ١٠٥

١ ــ الاهتمام بالشؤون الادارية (اللوجستيك) ١٠٧
٢ ــ التحريض على الجهاد ١١١
٣ ــ العنف في القضاء على أعداء الإسلام ١٥٨
٤ ــ الشجاعة في مواجهة الخوف ١١٥
٥ ــ القرارات الصحيحة ١٢١

٦ – حماية المرؤوسين ١٢٣

ب – موسى بن نصير وقوات المسلمين ١٢٦

١ – الاستعداد الدائم للقتال ١٢٨
٢ – الروح المعنوية العالية ١٣٠
٣ – الكفاءة البدنية العالية والقدرة على تحمل الصعاب ١٣٢
٤ – موسى بن نصير وما يعرف (بالحرب الشعبية) ١٣٤
٥ – موسى وحرية العمل ١٣٦
٦ – الانضباط والطاعة ١٣٩

خاتمة

١ – موسى وعودته إلى الشام ١٤٤
٢ – ما بعد موسى ١٥٢
المراجع والمصادر الرئيسية ١٥٥
محتوى الكتاب ١٥٧

صَدَرَعَنْ دَارالنفَائسْ للمؤلِف

أ ـ الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية .

ب ـ مشاهير قادة الاسلام

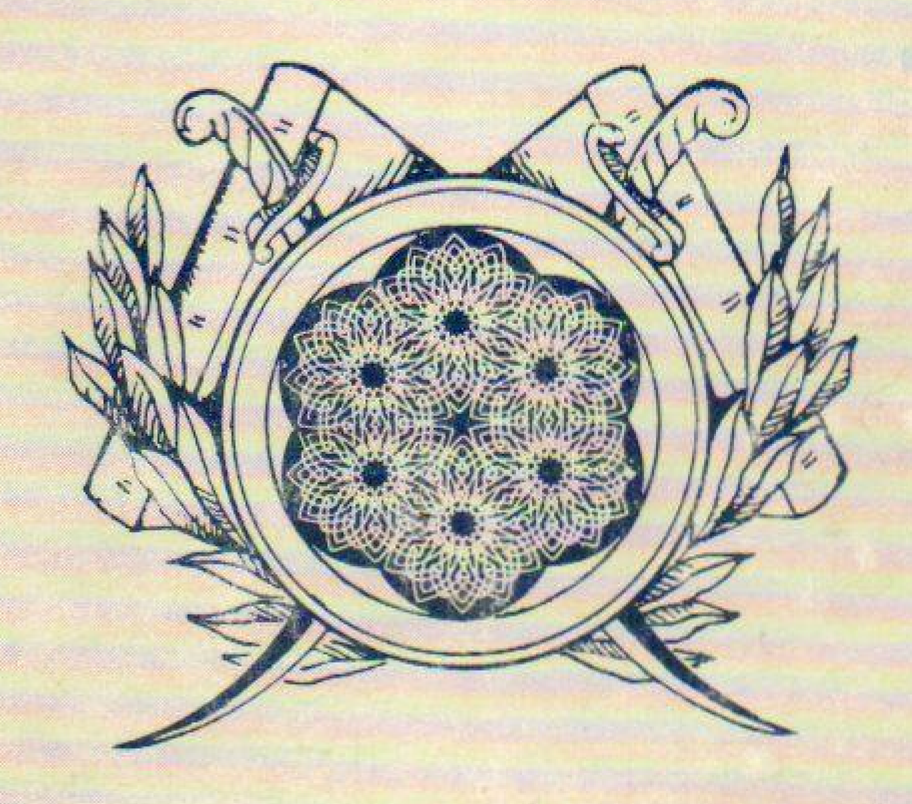
١ ـ عقبة بن نافع
٢ ـ موسى بن نصير
٣ ـ قتيبة بن مسلم الباهلي
٤ ـ سعد بن أبي وقاص
٥ ـ عمرو بن العاص
٦ ـ أبو عبيدة بن الجراح
٧ ـ خالد بن الوليد
٨ ـ معاوية بن أبي سفيان
٩ ـ صلاح الدين الأيوبي
١٠ ـ المظفر قطز وعين جالوت
١١ ـ الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة
١٢ ـ عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)
١٣ ـ عبد الرحمن الناصر لدين الله
١٤ ـ الحاجب المنصور
١٥ ـ المعتمد وابن تاشفين

ج ـ جهاد شعب الجزائر

١ ـ خير الدين بربروس
٢ ـ الجزائر والحملات الصليبية
٣ ـ المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي
٤ ـ الأمير عبد القادر الجزائري
٥ ـ محمد المقراني (وثورة ١٨٧١ ـ الجزائرية)
٦ ـ الأمير خالد الهاشمي الجزائري
٧ ـ عبد الحميد بن باديس

ويصدر تباعاً :

٨ ـ الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية
٩ ـ الله اكبر ـ وانطلقت ثورة الجزائر
١٠ ـ جيش التحرير الوطني الجزائري والصراع المسلح
١١ ـ أيام جزائرية خالدة
١٢ ـ المجاهدون الجزائريون ـ وتطور الصراع المسلح
١٣ ـ المجاهدة الجزائرية ـ والارهاب الاستعماري
١٤ ـ الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية
١٥ ـ جبهة التحرير الوطني الجزائرية ـ والصراع السياسي



دار النفائس ص.ب ١١.٦٣٤٧ هاتف ٣.٢٥٣٨ ـ بيروت